

مَوْسُوعَةٌ

نظرة النعيم

فِي

مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

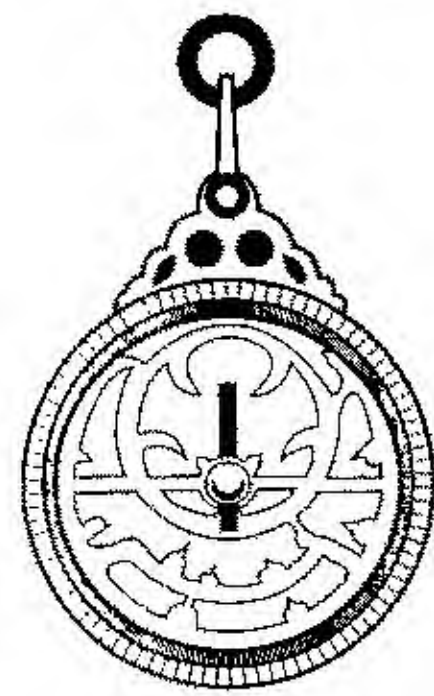
مَوْسُوعَةٌ قِيمِ أَخْلَافِ الزُّبَيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
لِمَا أَمَرَهُ وَنُهِى عَنْهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

إِعْدَادُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُخْتَصِّصِينَ بِإِشْرَافِ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلُوحٍ
مُؤَسِّسُ دَارِ الْوَسِيلَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُكَيْمٍ
إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ

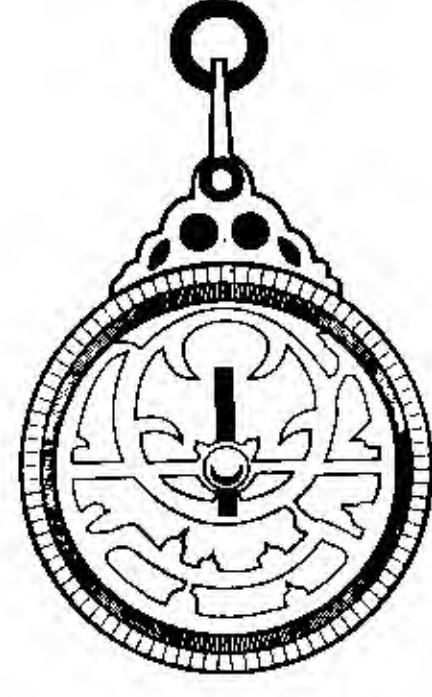
الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ



دَارُ الْوَسِيلَةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

تليفون ٦٦٥٥٨٧٩ / ٦٦٥٩٨٦٤ / فاكس ٦٦٠٤٧٣٣ (٠٠٩٦٦٢)
ص.ب. ٧٤٧٩ ج.د. ٢١٤٦٢ المملكة العربية السعودية



الناشر : دار الوسيلة
للنشر والتوزيع

تليفون ٦٦٥٥٨٧٩ / ٦٦٥٩٨٦٤ / فاكس ٦٦٠٤٧٣٣ (٠٠٩٦٦٢)

ص.ب ٧٤٧٩ جدة ٢١٤٦٢ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: alwasila@middleeast.net

العنوان على شبكة الإنترنت : www.prophetmohammed.com

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نقلها أو طباعتها أو تصويرها ضوئياً أو أي وسيلة أخرى
أو تسجيلها صوتياً كاملة أو مجزأة
إلا بإذن كتابي من الناشر

(ح) دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ - جدة
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ

رقم الإيداع: ١٨/١١٧٩

ردمك: X - ٠٠ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٨ - ١ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (ج ١)

١ - السيرة النبوية ٢ - الأخلاق الإسلامية ٣ - الشمايل المحمدية

١٨/١١٧٩

ديوي ٢٣٩،٦

رقم الإيداع: ١٨/١١٧٩

ردمك: X - ٠٠ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٨ - ٠١ - ٨٣٨ - ٩٩٦٠ (ج ١)

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

جدة - المملكة العربية السعودية

نظرة النعيم

فِي

مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الإشراف العام

عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملُوح
مؤسس ومدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع

صالح بن عبدالله بن حميد
إمام وخطيب الحرم المكي

لجنة الإعداد : بإشراف الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

أ. محمد أحمد سيـــــــــــــــــد أحمد
أ. صلاح محمد عــــــــــــــــرفــــــــــــــــات
أ. محمد إسماعيل السيــــــــــــــــد أحمد
أ. ناصر مهــــــــــــــــل محمد حــــــــــــــــامــــــــــــــــد

لجنة المراجعة والضبط : بإشراف أ.د. علي خليل مصطفى أبو العينين

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية بجامعة الرقازيق ، وفرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة

أ.د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي
د. عزت عبدالحميد إبراهيم
د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد
أ.د. عبدالجود متولي بهنسي
د. أحمد علي محمد ربيع
د. يسس إبراهيم عفيفي

لجنة اللغة والتدقيق والفهرسة : بإشراف أ.د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

أستاذ أصول اللغة العربية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. عبدالصبور السيد أحمد الغندور
أ.د. محمد أحمد حــــــــــــــــســــــــــــــــب الله
أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري
أ.د. سعيد محمد صــــــــــــــــوابي
د. أحمد كــــــــــــــــامــــــــــــــــل صــــــــــــــــالــــــــــــــــح
د. عــــــــــــــــاصــــــــــــــــم بــــــــــــــــدري حسين
أ. أحمد شــــــــــــــــعبــــــــــــــــان البــــــــــــــــاســــــــــــــــل
أ. عبدالحميد عبدالعليم البركاوي
أ.د. عبدالفتاح عــــــــــــــــســــــــــــــــى البربري
أ.د. زكريا عبدالمجيد النوقي
أ.د. سيد أحمد طهطاوي
أ.د. محمد إبراهيم عبدالرحمن
د. فــــــــــــــــســــــــــــــــراج جــــــــــــــــودــــــــــــــــة فــــــــــــــــراج
أ. ســــــــــــــــبــــــــــــــــيع حــــــــــــــــمــــــــــــــــزة حــــــــــــــــاكــــــــــــــــمي
أ. محمد عبدالقادر الأرنؤوط
أ. فــــــــــــــــؤاد محمد نور أبو الخير

إعداد السيرة النبوية :

أ.د. حسام الدين قوام الدين حسن السامرائي
أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقا

الإدارة والمتابعة :

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملُوح

برامج الحاسب الآلي :

م. ناظم يحيى عبدالرازق

الجمع والتنضيد بإشراف : توني نجيب زيدان أحمد

طارق علي بيوممي
كمال حمزة أحمد
مصطفى سعد محمد
كمال مصطفى أبي زيد

هاني محمد أحمد فرج
يوسف عبدالباقي محمود
محمد رضا محمد محمود
عبد الإله محمود عساف

بعون الله تعالى وتوفيقه شارك في إعداد هذه الموسوعة

- ١- الشيخ أ.د صالح بن عبد الله بن حميد
- ٢- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح
- ٣- أ. فؤاد محمد نور أبو الخير
- ٤- أ.د. على خليل مصطفى أبو العينين
- ٥- أ.د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي
- ٦- أ.د. حسام الدين قوام الدين السامرائي
- ٧- أ.د. محمد أحمد حسب الله
- ٨- أ.د. محمد كاظم حسن الظواهري
- ٩- أ.د. عبد الموجود متولى بهنسي
- ١٠- أ.د. عبد الصبور السيد الغندور
- ١١- أ.د. عبد الفتاح عيسى البربري
- ١٢- أ.د. زكريا عبد المجيد النوي
- ١٣- أ.د. سعيد محمد صوابي
- ١٤- أ.د. محمد إبراهيم عبد الرحمن
- ١٥- أ.د. السيد أحمد طهطاوي
- ١٦- د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد
- ١٧- د. أحمد على محمود ربيع
- ١٨- د. أحمد كامل محمد صالح
- ١٩- د. عزت عبد الحميد إبراهيم
- ٢٠- د. عاصم بدري حسين
- ٢١- د. فراج جودة فراج
- ٢٢- د. يس إبراهيم عفيفي
- ٢٣- أ. سمير محمد عبد التواب
- ٢٤- أ. صلاح محمد عرفات
- ٢٥- أ. محمد أحمد سيد أحمد
- ٢٦- أ. محمد إسماعيل السيد أحمد
- ٢٧- أ. ناصر مهلل محمد حامد
- ٢٨- أ. محمود عبد القادر الأرناؤوط
- ٢٩- أ. سبيع حمزة حاكمي
- ٣٠- أ. أحمد شعبان الباسل
- ٣١- أ. عبد الحميد عبد العليم البركاوي
- خطيب وإمام الحرم المكي ، وعضو مجلس الشورى، وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقا.
- مؤسس ومدير عام مؤسسة بن ملّوح التجارية وفروعها دار الوسيلة للنشر والتوزيع ومؤسسة الصيانة الوقائية الشاملة - جدة.
- نائب مدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ونائب مدير عام مدارس الثغر النموذجية سابقا، ومدير القسم المتوسط والثانوي بمدارس دار الفكر سابقا.
- أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية بجامعة الزقازيق فرع بنها ، وفرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة سابقا.
- أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقا.
- أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، وأستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنوفية ، وكلية المعلمين بالطائف.
- أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية بالمنوفية .
- أستاذ مشارك بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - فرع الطائف.
- أستاذ مشارك بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - فرع الطائف.
- أستاذ الأدب المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، وكلية التربية بالطائف
- أستاذ علوم الحديث المشارك بجامعة الأزهر بالقاهرة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة - فرع الطائف.
- أستاذ التربية الإسلامية المشارك بكلية التربية بجامعة عين شمس بالقاهرة، وكلية المعلمين بالطائف.
- أستاذ أصول التربية المشارك بجامعة أسيوط، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.
- أستاذ أصول اللغة المساعد بجامعة الأزهر ، وجامعة كوالا لامبور بماليزيا.
- أستاذ التاريخ المساعد بكلية دار العلوم بالقاهرة، وكلية التربية بجامعة أم القرى - فرع الطائف.
- أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية اللغة العربية بالمنوفية ، وكلية المعلمين بعرعر بالمملكة العربية السعودية.
- أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية المعلمين بالطائف.
- أستاذ الأدب المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكلية التربية بالطائف.
- دكتوراه في اللغويات من جامعة الأزهر
- وكيل وزارة الإعلام بالقاهرة سابقا.
- المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
- المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
- المحاضر بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- خريج معهد الدعاة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- محقق تراث. الجمهورية العربية السورية .
- محقق تراث. الجمهورية العربية السورية .
- المحاضر بكلية التربية - فرع جامعة أم القرى - بالطائف.
- تخصص القراءات (دبلوم في الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بالقاهرة).

محتويات المقدمة

الموضوع	رقم الصفحة
المجلد الأول	
- الفهرس العام لمحتويات المقدمة والموسوعة	أ - ي ط *
- تقديم الناشر	ك - ل ب
- تقرّظ بقلم معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي	
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد	ل ج - ل ز
- تقرّظ فضيلة الدكتور الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله الجبرين	
عضو هيئة الإفتاء - الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء	ل ح - م ح
- تقديم فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد	
إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقاً - (المنهج العلمي للموسوعة)	م ط - ن ز
- تقديم اللجنة اللغوية	ن ح - س ب
إعداد: أ. د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي	
- الحياة والنفس الإنسانية	س ج - ع ب
إعداد: عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح	
- الحياة الإيمانية في ضوء علاقة الابتلاء والنفس الإنسانية	١ - ٥٠
- الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام	٥١ - ١٨٣
- تمهيد	٥١
- الفصل الأول: مفهوم الأخلاق .. أصالتها في الفكر الإسلامي .. وظائفها	٥٩

* اعتمدنا في ترقيم الصفحات من (أ) إلى (ع ب) على النظام العربي القديم الذي يستخدم حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص

قرشت) أرقاماً حسابية، حيث أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و = ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠، ي = ١١ ... إلى ي ط = ١٩، ك = ٢٠ ... إلى ك ط = ٢٩، ل = ٣٠ ... وهكذا. وتُعرف هذه الطريقة بطريقة حساب الجُمَّل. انظر هذه

الطريقة في مقدمة لسان العرب وفي القاموس المحيط مادة (ب ج د).

٦١	- الأخلاق اصطلاحًا
٦٢	- مفهوم الأخلاق عند ابن تيمية
٦٣	- ابن القيم ومفهوم الأخلاق
٦٣	- تعريفات الأخلاق عند المحدثين
٦٦	- الأخلاق الإسلامية
٦٧	- أصالة الفكر الأخلاقي عند المسلمين
٧٥	- القيم الإسلامية
٧٧	- ماهية القيم
٨١	- خصائص القيم الإسلامية
٨٣	- تصنيف القيم الإسلامية
٨٤	- بين الأخلاق والقيم
٨٥	- وظائف القيم الخلقية
٨٩	- الفصل الثاني: الأخلاق الإسلامية .. طبيعتها .. مصادرها .. أركانها
٨٩	- طبيعة الأخلاق الإسلامية
٩٢	- الأخلاق الإسلامية ومبدأ التكليف
١٠٠	- أركان الفعل الخلقى في الإسلام :
١٠٠	- الإلزام الخلقى ومصدره
١٠٦	- المسؤولية الخلقية
١٠٩	- شروط المسؤولية الخلقية في الإسلام
١١٢	- الجزاء
١٢١	- الفصل الثالث: المنهج الإسلامى فى تنمية القيم الخلقية
١٢١	- هل تُكتسب الأخلاق ؟
١٢٧	- منهج الإسلام فى تنمية القيم الخلقية

١٣٢	- كيفية تكوين القيم الخلقية
١٣٧	- الفصل الرابع: وسائل تنمية الأخلاق الإسلامية
١٣٧	- مفهوم الوسيلة التربوية
١٣٨	- شروط الوسيلة
١٣٩	- وسائل تنمية القيم الإسلامية
١٥٦	- القصة في الحديث الشريف
١٦٣	- الفصل الخامس: وسائط تنمية الأخلاق
١٦٣	- الأسرة
١٦٩	- جماعة الأقران
١٧١	- المسجد
١٧٥	- المدرسة
١٧٩	- وسائل الإعلام
١٨٤ - ٤١٤	- السيرة النبوية العطرة
١٨٤	- الأخلاق ودراسة السيرة
١٨٥	- مصادر دراسة السيرة النبوية
١٨٨	- بيئة الدعوة
١٩٣	- نسبه وصفته ﷺ
١٩٤	- أسماؤه ﷺ
١٩٥	- مولده ﷺ
١٩٨	- زواجه ﷺ بخديجة بنت خويلد
٢٠٠	- الحكم الأمين
٢٠١	- الصادق الأمين

٢٠١	- ارهاصات البعثة
٢٠٥	- نزول الوحي والبعثة النبوية
٢٠٨	- الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية
٢١٣	- مرحلة الدعوة السرية
٢١٥	- بدء الجهر بالدعوة
٢١٨	- لغة القرآن
٢٢٠	- الدعوة في مكة
٢٢٧	- أذى المشركين للرسول ﷺ
٢٢٩	- لجوء قريش إلى المفاوضات
٢٣١	- اتباع قريش أسلوب الترغيب للرسول ﷺ
٢٣١	- اتباع قريش أسلوب التهيب للرسول ﷺ
٢٣٦	- الهجرة الأولى إلى الحبشة
٢٣٩	- محاولة قريش استرداد المهاجرين المسلمين
٢٤٣	- المقاطعة ودخول المسلمين شعب أبي طالب
٢٤٤	- وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها
٢٤٥	- رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف
٢٤٦	- الإسراء والمعراج
٢٥١	- عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل
٢٥٣	- بيعة العقبة الأولى
٢٥٣	- بيعة العقبة الثانية
٢٥٥	- الهجرة إلى يثرب
٢٦٣	- بناء المسجد النبوي
٢٦٦	- تنظيم الأمة بعد الهجرة
٢٧٠	- إعلان دستور المدينة (وثيقة التحالف بين المهاجرين والأنصار)
٢٧٢	- الجهاد وانتشار الإسلام

٢٧٥	- تأسيس الدولة الإسلامية
٢٨٢	- طلائع حركة الجهاد
٢٨٥	- تحويل القبلة إلى الكعبة
٢٨٦	- غزوة بدر الكبرى
٢٩٥	- النشاط العسكري الإسلامي بين بدر وأحد
٢٩٦	- غزوة بني قينقاع
٢٩٧	- غزوة السويق
٣٠٠	- غزوة أحد
٣١٥	- سرية بئر معونة
٣١٦	- غزوة بني النضير
٣٢٠	- غزوة المريسيع (بني المصطلق)
٣٢٣	- غزوة الخندق (الأحزاب)
٣٢٨	- غزوة بني قريظة
٣٣٤	- غزوة الحديبية
٣٤٣	- رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء
٣٤٩	- غزوة خيبر
٣٥٥	- عمرة القضاء
٣٥٩	- سرية مؤتة
٣٦١	- سرية ذات السلاسل
٣٦٣	- غزوة فتح مكة
٣٧٥	- غزوة حنين
٣٨٠	- غزوة الطائف
٣٨٦	- غزوة تبوك (جيش العسرة)
٣٩٥	- توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول ﷺ
٣٩٦	- عام الوفود

٣٩٨	- حج أبي بكر بالناس
٤٠٠	- حجة الوداع
٤٠٢	- بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
٤٠٢	- وفاة النبي ﷺ
٤٠٧	- ما خلفه النبي ﷺ
٥١٩ - ٤١٥	شمائل الرسول ﷺ
٤١٥	- الصفات الخلقية لسيد المرسلين ﷺ :
٤١٦	- وصف جامع
٤٢٤	- صفة لون رسول الله ﷺ
٤٢٦	- صفة وجه رسول الله ﷺ وأعضائه
٤٢٩	- صفة رأس رسول الله ﷺ وصفة لحيته ﷺ
٤٣٠	- صفة شعر رأس رسول الله ﷺ
٤٣٢	- صفة شيب النبي ﷺ وخضابه
٤٣٥	- خاتم النبوة
٤٣٩	- الكمالات والخصائص التي انفرد بها رسول الله ﷺ :
٤٣٩	أولاً : الكمالات :
٤٣٩	الوجه الأول : كمال الخلق
٤٤٠	الوجه الثاني : كمال الخلق
٤٤٢	الوجه الثالث : فضائل الأقوال
٤٤٤	الوجه الرابع : فضائل الأعمال
٤٤٧	ثانياً : الخصائص :
٤٤٩	القسم الأول : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن بقية الأنبياء والمرسلين صلوات الله
٤٤٩	وسلامه عليهم أجمعين :
٤٥٠	النوع الأول : ما اختص به ﷺ من الخصائص لذاته في الدنيا

٤٦٩	النوع الثاني : ما اختص به ﷺ لذاته في الآخرة
٤٨٠	النوع الثالث : ما اختص به ﷺ في أمته في الدنيا
٤٩٤	النوع الرابع : ما اختص به ﷺ في أمته في الآخرة
٥٠٣	القسم الثاني : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن أمته:
٥٠٣	النوع الأول : ما حرم عليه ﷺ دون غيره
٥٠٧	النوع الثاني : ما أُمِّح له ﷺ دون غيره
٥١١	النوع الثالث : ما وجب عليه ﷺ دون غيره
٥١١	النوع الرابع : ما اختص به ﷺ عن أمته من الفضائل والكرامات
٥٢٠ - ٥٥٤	معجزات ودلائل نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ
٥٢٠	- المعجزة على ضربين
٥٢١	- المعجزة الكبرى
٥٢٦	- الإسراء والمعراج
٥٢٨	- انشقاق القمر
٥٢٨	- تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة ﷺ
٥٣٠	- تكثيره الطعام والشراب ﷺ
٥٣٣	- دلائل نبوته ﷺ فيما يتعلق ببعض الحيوانات
٥٣٤	- معجزاته ﷺ في أنواع الجهادات
٥٣٧	- عصمته من الناس ﷺ
٥٣٩	- إجابة دعائه ﷺ
٥٤٢	- إخباره ﷺ عن المغيبات
٥٤٦	- ظهور الإسلام وعلوه
٥٤٧	- ملك أمة محمد وممالكها
٥٥٢	- إفحام أهل الكتاب

٥٥٥ - ٦١٠	الصلاة على رسول الله ﷺ
٥٥٥	- صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ
٥٥٨	- مواطن الصلاة على رسول الله ﷺ
٥٦٧	- فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ
٥٧١	- الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ
٥٧٧	- بيان معنى الصلاة على النبي ﷺ
٥٧٨	- صلاة الله على عبده
٥٨٠	- معنى اسم النبي ﷺ واشتقاقه
٥٨٦	- معنى آل واشتقاقه وأحكامه
٥٨٨	- فصل في آل النبي ﷺ
٥٨٩	- أزواجه ﷺ
٥٩٥	- فصل في ذكر إبراهيم خليل الرحمن ﷺ
٥٩٨	- مسألة مشهورة (أفضلية محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام)
٦٠٠	- معنى قوله : «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد»
٦٠٦	- فصل في اختتام هذه الصلاة بهذين الاسمين من أسماء الرب سبحانه وتعالى : الحميد والمجيد
٦٠٨	- الصلاة على غير النبي ﷺ
٦٠٨	- الصلاة على آل النبي ﷺ
٦٠٩	- مسألة في هل يُصَلَّى على آله ﷺ منفردين عنه

محتويات الموسوعة

رقم الصفحة	اسم الصفة	م
٣٦٤	الإصلاح	٢٠
٣٧٩	الاعتبار	٢١
٣٨٨	الاعتذار	٢٢
٣٩٧	الإعتراف بالفضل	٢٣
٤١٠	الاعتصام	٢٤
٤١٧	الإغاثة	٢٥
٤٣١	إفشاء السلام	٢٦
٤٦٧	إقامة الشهادة	٢٧
٤٨٥	أكل الطيبات	٢٨
٤٩٤	الألفة	٢٩
المجلد الثالث		
تابع حرف الألف		
٥٠٧	الأمانة	٣٠
٥٢٥	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣١
٥٤٠	الإنابة	٣٢
٥٤٧	الإنذار	٣٣
٥٧٦	الإنصاف	٣٤
٥٩٨	الإنفاق	٣٥
٦٢٩	الإيثار	٣٦
٦٤١	الإيمان	٣٧
حرف الباء		
٧٥٠	البر	٣٨

رقم الصفحة	اسم الصفة	م
الصفات المستحبة:		
المجلد الثاني		
حرف الألف		
١	الابتهاال	١
١٠	الاتباع	٢
٤٢	الاجتماع	٣
٥٤	الاحتساب	٤
٦٧	الإحسان	٥
٩٢	الإخاء	٦
١١٨	الإخبات	٧
١٢٤	الإخلاص	٨
١٤١	الأدب	٩
١٧١	الإرشاد	١٠
١٨١	الاستئذان	١١
١٩٦	الاستخارة	١٢
٢٠١	الاستعاذة	١٣
٢٢٧	الاستعانة	١٤
٢٤١	الاستغاثة	١٥
٢٥٢	الاستغفار	١٦
٣٠٣	الإستقامة	١٧
٣٢٠	الإسلام	١٨
٣٤٩	الأسوة الحسنة	١٩

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
٥٩	التفكر	١٠٦٥
٦٠	التقوى	١٠٧٩
٦١	التكبير	١١٢١
٦٢	تكريم الإنسان	١١٣٥
٦٣	تلاوة القرآن	١١٧٦
٦٤	التناصر	١٢٣٠
٦٥	التهليل	١٢٤٥
٦٦	التواضع	١٢٥٥
٦٧	التوبة	١٢٦٩
٦٨	التوحيد	١٢٩٦
٦٩	التودد	١٣٤٣
٧٠	التوسط	١٣٥٢
٧١	التوسل	١٣٦٧
٧٢	التوكل	١٣٧٧
٧٣	التيشير	١٣٩٩
٧٤	التيمن	١٤٢٠
	حرف الشاء	
٧٥	الثبات	١٤٣٧
٧٦	الثناء	١٤٥٠
	حرف الجيم	
٧٧	جهاد الأعداء	١٤٨١
٧٨	الجود	١٥٠٦

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
٣٩	بر الوالدين	٧٦٧
٤٠	البشارة	٧٨٠
٤١	البشاشة	٨١٢
٤٢	البصيرة و الفراسة	٨٢٣
٤٣	البكاء	٨٣٣
	حرف التاء	
٤٤	التأمل	٨٤٣
٤٥	التأني	٨٦٤
٤٦	التبتل	٨٧٢
٤٧	التبليغ	٨٧٦
٤٨	التبين (الثبت)	٩٠١
٤٩	التدبر	٩٠٩
٥٠	التذكر	٩١٦
٥١	تذكر الموت	٩٣١
٥٢	التذكير	٩٦٨
٥٣	التسبيح	٩٨٠
٥٤	التعارف	١٠٠٤
٥٥	التعاون على البر والتقوى	١٠٠٨
٥٦	تعظيم الحرمات	١٠٢٨
٥٧	التفاؤل	١٠٤٥
	المجلد الرابع	
	تابع حرف التاء	
٥٨	تفريج الكربات	١٠٥٠

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	حرف الحاء	
٩٨	الخشوع	١٨٢٤
٩٩	الخشية	١٨٣٨
١٠٠	خفض الصوت	١٨٥٧
١٠١	الخوف	١٨٦٦
	حرف الدال	
١٠٢	الدعاء	١٩٠١
١٠٣	الدعوة إلى الله	١٩٤٥
	حرف الذال	
١٠٤	الذكر	١٩٦١
	حرف الراء	
١٠٥	الرأفة	٢٠١٤
١٠٦	الرجاء	٢٠٢٢
١٠٧	الرجولة	٢٠٤١
	المجلد السادس	
	تابع حرف الراء	
١٠٨	الرحمة	٢٠٦١
١٠٩	الرضا	٢١٠٣
١١٠	الرغبة والترغيب	٢١٢٥
١١١	الرفق	٢١٥٧
١١٢	الرهبة والترهيب	٢١٦٩

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	حرف الحاء	
٧٩	الحجاب	١٥١٤
٨٠	الحج والعمرة	١٥٢٩
٨١	الحذر	١٥٥٣
	المجلد الخامس	
	تابع حرف الحاء	
٨٢	حسن الخلق	١٥٦٩
٨٣	حسن السمات	١٥٨٧
٨٤	حسن الظن	١٥٩٦
٨٥	حسن العشرة	١٦٠٩
٨٦	حسن المعاملة	١٦٢٣
٨٧	حفظ الأيمان	١٦٣٩
٨٨	حفظ الفرج	١٦٥٤
٨٩	حق الجار	١٦٦٥
٩٠	الحكمة	١٦٧٧
٩١	الحكم بما أنزل الله	١٧٠٦
٩٢	الحلم	١٧٣٥
٩٣	الحمد	١٧٥٣
٩٤	الحنان	١٧٨٢
٩٥	الحوقلة	١٧٨٩
٩٦	الحياء	١٧٩٥
٩٧	الحيطة	١٨١٥

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
١٣٢	الصفح	٢٥٣٠
١٣٣	الصلاة	٢٥٣٦
١٣٤	الصلاح	٢٥٨٥
	المجلد السابع	
	تابع حرف الصاد	
١٣٥	صلة الرحم	٢٦١٤
١٣٦	الصمت وحفظ اللسان	٢٦٣٣
١٣٧	الصوم	٢٦٤٥
	حرف الضاد	
١٣٨	الضراعة والتضرع	٢٦٦٣
	حرف الطاء	
١٣٩	الطاعة	٢٦٧٢
١٤٠	طلاقة الوجه	٢٦٩٩
١٤١	الطمأنينة	٢٧٠٢
١٤٢	الطموح	٢٧١٣
١٤٣	الطهارة	٢٧١٩
	حرف العين	
١٤٤	العبادة	٢٧٤١
١٤٥	العدل والمساواة	٢٧٩٠
١٤٦	العزة	٢٨١٩
١٤٧	العزم والعزيمة	٢٨٤٩
١٤٨	العطف	٢٨٦٥
١٤٩	العفة	٢٨٧٢

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	حرف الزين	
١١٣	الزكاة	٢١٩٦
١١٤	الزهد	٢٢١٧
	حرف السين	
١١٥	الستر	٢٢٣٥
١١٦	السخاء	٢٢٥٢
١١٧	السرور	٢٢٦٠
١١٨	السكينة	٢٢٦٧
١١٩	السِّلم	٢٢٧٢
١٢٠	السماحة	٢٢٨٧
١٢١	السماع	٢٣٠١
	حرف الشين	
١٢٢	الشجاعة	٢٣٢٢
١٢٣	الشرف	٢٣٤٤
١٢٤	الشفاعة	٢٣٦٥
١٢٥	الشفقة	٢٣٨٥
١٢٦	الشكر	٢٣٩٣
١٢٧	الشهامة	٢٤٢٠
١٢٨	الشورى	٢٤٢٦
	حرف الصاد	
١٢٩	الصبر والمصابرة	٢٤٤١
١٣٠	الصدق	٢٤٧٣
١٣١	الصدقة	٢٥١٧

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	حرف الكاف	
١٦٨	كتمان السر	٣٢٠٣
١٦٩	الكرم	٣٢١٤
١٧٠	كظم الغيظ	٣٢٣٦
١٧١	كفالة اليتيم	٣٢٤٥
١٧٢	الكلم الطيب	٣٢٦٥
	حرف اللام	
١٧٣	اللين	٣٢٩٥
	حرف الميم	
١٧٤	مجاهدة النفس	٣٣٠٣
١٧٥	محاسبة النفس	٣٣١٧
١٧٦	المحبة	٣٣٢٥
١٧٧	المدارة	٣٣٥٧
١٧٨	المراقبة	٣٣٦٧
١٧٩	المروءة	٣٣٧٣
١٨٠	المسارعة في الخيرات	٣٣٨٧
١٨١	المسئولية	٣٤٠٠
١٨٢	المعاتبه	٣٤١٨
١٨٣	معرفة الله - عز وجل	٣٤٣٣
١٨٤	المواساة	٣٤٥٨
	حرف النون	
١٨٥	النبيل	٣٤٧٠
١٨٦	النزاهة	٣٤٧٥

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
١٥٠	العفو	٢٨٩٠
١٥١	العلم	٢٩١١
١٥٢	علو الهمة	٢٩٨٣
١٥٣	العمل	٣٠١٠
١٥٤	عيادة المريض	٣٠٥٢
	حرف الغين	
١٥٥	غض البصر	٣٠٧٠
١٥٦	الغيرة	٣٠٧٧
	حرف الفاء	
١٥٧	الفرار إلى الله	٣٠٨٦
١٥٨	الفرح	٣٠٩٣
١٥٩	الفضل	٣١٠٧
	المجلد الثامن	
	تابع حرف الفاء	
١٦٠	الفطنة	٣١٢٦
١٦١	الفقه	٣١٣٧
	حرف القاف	
١٦٢	القسط	٣١٥٣
١٦٣	القصاص	٣١٦١
١٦٤	القناعة	٣١٦٧
١٦٥	القنوت	٣١٧٦
١٦٦	القوة والشدة	٣١٨٨
١٦٧	قوة الإرادة	٣١٩٦

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
٣	الأثرة	٣٧٧١
٤	الإجرام	٣٧٨٠
٥	الإحباط	٣٧٩٦
٦	الإحتكار	٣٨٠٨
٧	الأذى	٣٨١١
٨	الإرهاب	٣٨٢٨
٩	الإساءة	٣٨٣٧
١٠	الاستهزاء	٣٨٧٢
١١	الإسراف	٣٨٨٤
١٢	الإصرار على الذنب والعناد	٣٨٩٦
١٣	إطلاق البصر	٣٩٠٥
١٤	الإعراض	٣٩١٢
١٥	الاعوجاج	٣٩٢٧
١٦	الإفتراء	٣٩٣٥
١٧	إفشاء السر	٣٩٤٦
١٨	الإفك	٣٩٥٨
١٩	أكل الحرام	٣٩٦٩
٢٠	الإلحاد	٣٩٨٠
٢١	الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف	٣٩٨٧
٢٢	الإمعة	٣٩٩٥
٢٣	الأمّن من المكر	٣٩٩٩
٢٤	الانتقام	٤٠٠٦

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
١٨٧	النشاط	٣٤٨٥
١٨٨	النصيحة والتواصي	٣٤٨٩
١٨٩	النظام	٣٥٠٨
١٩٠	النظر والتبصر	٣٥١٥
	حرف الهاء	
١٩١	الهجرة	٣٥٤٤
١٩٢	الهدى	٣٥٦٧
	حرف الواو	
١٩٣	الورع	٣٦١٦
١٩٤	الوعظ	٣٦٢٧
١٩٥	الوفاء	٣٦٣٨
١٩٦	الوقار	٣٦٦٩
١٩٧	الوقاية	٣٦٧٥
١٩٨	الولاء والبراء	٣٦٨٥
	حرف الياء	
١٩٩	اليقظة	٣٧١٢
٢٠٠	اليقين	٣٧١٧
	الصفات المذمومة:	
	المجلد التاسع	
	حرف الألف	
١	الابتداع	٣٧٣١
٢	إتباع الهوى	٣٧٥١

رقم الصفحة	اسم الصفة	م
٤١٩٠	التطير	٤٥
٤٢٠٠	التعاون على الإثم والعدوان	٤٦
٤٢٠٨	التعسير	٤٧
٤٢١٧	التفرق	٤٨
٤٢٢٩	التفريط الإفراط	٤٩
٤٢٣٧	التكاثر	٥٠
٤٢٥٠	التكلف	٥١
٤٢٥٧	التناجش	٥٢
٤٢٦٥	التنازع	٥٣
٤٢٨٠	التنصل من المسؤولية والتهرب منها	٥٤
٤٢٩٦	التنفير	٥٥
٤٣٠١	التهاون	٥٦
٤٣٠٧	التولي	٥٧
	حرف الجيم	
٤٣٢٠	الجبين	٥٨
٤٣٢٦	الجحود	٥٩
٤٣٣٨	الجدال والمرء	٦٠
٤٣٥٠	الجزع	٦١
٤٣٥٨	الجفاء	٦٢
٤٣٦٦	الجهل	٦٣

رقم الصفحة	اسم الصفة	م
٤٠١٦	إنتهاك الحرمات	٢٥
٤٠٢٥	الإهمال	٢٦
	حرف الباء	
٤٠٢٩	البخل	٢٧
٤٠٤٧	البذاءة	٢٨
٤٠٦٠	البذاذة	٢٩
٤٠٦٨	البطر	٣٠
٤٠٧٣	البغض	٣١
٤٠٨٤	البغي	٣٢
٤٠٩٧	البلادة (عدم الفقه)	٣٣
٤١٠٧	البهتان	٣٤
	حرف التاء	
٤١١٣	التبذير	٣٥
٤١٢٠	التبرج	٣٦
٤١٢٩	التجسس	٣٧
٤١٣٣	التحقير	٣٨
٤١٣٩	التخاذل	٣٩
٤١٤٥	التخلف عن الجهاد	٤٠
٤١٥٩	ترك الصلاة	٤١
٤١٦٨	التسول	٤٢
٤١٧٤	التشامل	٤٣
٤١٨٣	التطيف	٤٤

م	اسم الصفة	رقم
	حرف الزين	
٨٠	الزنا	٤٥٦٨
٨١	الزندقة	٤٥٨٤
	حرف السين	
٨٢	السحر	٤٥٨٩
٨٣	السخرية	٤٦٠٢
٨٤	السخط	٤٦١٥
٨٥	السرقه	٤٦٢٥
٨٦	السفاهة	٤٦٣٤
٨٧	سوء الخلق	٤٦٤٢
٨٨	سوء الظن	٤٦٥٢
٨٩	سوء المعاملة	٤٦٧٣
	حرف الشين	
٩٠	الشح	٤٦٨٥
٩١	شرب الخمر	٤٦٩٥
٩٢	الشرك	٤٧٠٩
٩٣	الشك	٤٧٥١
٩٤	الشهامة	٤٧٦٩
٩٥	شهادة الزور	٤٧٧٤
	حرف الصاد	
٩٦	صغر الهمة	٤٧٨١

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	المجلد العاشر	
	حرف الحاء	
٦٤	الحرب والمحاربة	٤٣٩٠
٦٥	الحزن	٤٤٠٧
٦٦	الحسد	٤٤١٧
٦٧	الحقد	٤٤٣٠
٦٨	الحكم بغير ما أنزل الله	٤٤٤١
٦٩	الحق	٤٤٤٩
	حرف الخاء	
٧٠	الخبث	٤٤٥٩
٧١	الخداع	٤٤٧٠
٧٢	الخنوثة والتخنث	٤٤٧٧
٧٣	الخيانة	٤٤٨٢
	حرف الدال	
٧٤	الدياثة	٤٤٩٨
	حرف الذال	
٧٥	الذل	٤٥٠٢
	حرف الراء	
٧٦	الربا	٤٥١٦
٧٧	الردة	٤٥٣٢
٧٨	الرشوة	٤٥٤٢
٧٩	الرياء	٤٥٥١

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
١١٣	الغش	٥٠٦٩
١١٤	الغضب	٥٠٧٦
١١٥	الغفلة	٥٠٩٨
١١٦	الغل	٥١٠٩
١١٧	الغلو	٥١١٤
١١٨	الغلول	٥١٢٨
١١٩	الغي والإغواء	٥١٤٢
١٢٠	الغيبة	٥١٦٢
حرف الفاء		
١٢١	الفتنة	٥١٧٨
١٢٢	الفجور	٥٢١٩
١٢٣	الفحش	٥٢٣١
١٢٤	الفساد	٥٢٣٦
١٢٥	الفسوق	٥٢٦١
١٢٦	الفضح	٥٢٧٠
حرف القاف		
١٢٧	القتل	٥٢٨٤
١٢٨	القدوة السيئة	٥٣٠٠
١٢٩	القذف	٥٣١١
١٣٠	القسوة	٥٣٢٣
١٣١	قطيعة الرحم	٥٣٢٩
١٣٢	القلق	٥٣٣٨

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
حرف الضاد		
٩٧	الضعف	٤٧٨٧
٩٨	الضلال	٤٧٩٥
حرف الطاء		
٩٩	الطغيان	٤٨٣٤
١٠٠	الطمع	٤٨٤٦
١٠١	طول الأمل	٤٨٥٧
١٠٢	الطيش	٤٨٦٨
حرف الظاء		
١٠٣	الظلم	٤٨٧١
حرف العين		
١٠٤	العبوس	٤٩٢٧
١٠٥	العتو	٤٩٣٢
١٠٦	العجلة	٤٩٤١
١٠٧	العدوان	٤٩٥٥
١٠٨	العصيان	٤٩٧٢
١٠٩	عقوق الوالدين	٥٠١١
١١٠	العنف	٥٠٢١
المجلد الحادي عشر		
حرف الغين		
١١١	الغدر	٥٠٢٥
١١٢	الغرور	٥٠٤٧

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
	حرف النون	
١٤٨	النجاسة	٥٥٨٩
١٤٩	النجوى	٥٥٩٨
١٥٠	النفاق	٥٦٠٤
١٥١	نقض العهد	٥٦٣١
١٥٢	النقمة	٥٦٤٥
١٥٣	نكران الجميل	٥٦٥٣
١٥٤	النميمة	٥٦٦٥
	حرف الهاء	
١٥٥	الهجاء	٥٦٧٢
١٥٦	الهجر	٥٦٨١
١٥٧	هجر القرآن	٥٦٩١
	حرف الواو	
١٥٨	الوسوسة	٥٧٠١
١٥٩	الوهم	٥٧١٠
١٦٠	الوهن	٥٧١٤
	حرف الياء	
١٦١	اليأس	٥٧٢٤

م	اسم الصفة	رقم الصفحة
١٣٣	القنوط	٥٣٤٤
	حرف الكاف	
١٣٤	الكبر والعجب	٥٣٥٢
١٣٥	الكذب	٥٣٨١
١٣٦	الكرب	٥٤٣١
١٣٧	الكسل	٥٤٣٨
١٣٨	الكفر	٥٤٤٣
١٣٩	الكنز	٥٥١٠
	حرف اللام	
١٤٠	اللغو	٥٥٢١
١٤١	اللهو واللعب	٥٥٢٧
١٤٢	اللؤم	٥٥٤٠
	حرف الميم	
١٤٣	المجاهرة بالمعصية	٥٥٤٧
١٤٤	المكر والكيد	٥٥٥٦
١٤٥	المن	٥٥٦٣
١٤٦	موالاة الكفار	٥٥٧٠
١٤٧	الميسر	٥٥٨٣

مسلسل	الفهرس	رقم الصفحة
المجلد الثاني عشر		
١	مقدمة الفهارس	١
٢	فهرس المحتويات	٦
٣	فهرس الشواهد القرآنية	١٧
٤	فهرس الأحاديث النبوية	١٢٠
٥	فهرس الآثار وأقوال العلماء والمفسرين	٢٥٦
٦	فهرس الأعلام	٣٧١
٧	فهرس المصطلحات	٤٤٤
٨	فهرس الفروق اللغوية	٤٥٧
٩	فهرس الوجوه والنظائر	٤٥٩
١٠	فهرس الأحكام الشرعية وآداب السلوك	٤٦١
١١	فهرس الحكم والأمثال	٤٦٤
١٢	فهرس الأشعار والأرجاز	٤٦٦
١٣	فهرس الأمم والقبائل والجماعات	٤٩١
١٤	فهرس الأماكن والبلدان	٥٠٠
١٥	فهرس الإحالات	٥١١
١٦	فهرس المصادر والمراجع	٥١٧
١٧	استدراكات	٥٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم هذه الموسوعة

نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ الأهداف والطموحات

بقلم: عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح
مؤسس ومدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان والإحسان، الحمد لله الذي منّ علينا بهذا الفضل العظيم وشرفنا بالقيام بإعداد هذه الموسوعة التي بين أيدينا والتي استغرقنا في إعدادها تسع سنوات وجمعنا محتوياتها من أكثر من ألف ومائة مصدر، ويسّر لنا الصحة والوقت والمال والإخوة الصالحين لإعانتنا على إتمام هذا العمل^(١)، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً يليق بأسمائه الحسنی وصفاته العلی فهو أحق من ذكر وأحق من شكر وأحق من عُبد وأحق من مُجد وأجود من سُئل وأكرم من قُصد وأوسع من أعطى ... وبعد: فهذه الموسوعة التي نشرف بتقديمها للعالم الإسلامي، وللعالم أجمع هي موسوعة أخلاق النبي ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ولما كان خلقه ﷺ القرآن - كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -^(٣)، فإنها تصبح بذلك موسوعة الأخلاق الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، وكما تجسدت عملياً من خلال تطبيق متكامل في شخص الرسول ﷺ وسنته المطهرة. فوصفه الله عز وجل بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

والخلق هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب حتى يصير كالخلقة فيه فسمي خلقاً ولهذا قال عبدالله بن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته»^(٥).

(١) مر العمل في الموسوعة خلال هذه السنوات التسع بثلاث مراحل هي:-

أ - مرحلة الإعداد، وقد تولى الإشراف عليها فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقاً.

ب - مرحلة المراجعة والضبط، بإشراف أ. د علي خليل مصطفى أبو العينين وكيل كلية التربية للدراسات العليا بجامعة الزقازيق فرع بنها.

ج - مرحلة التدقيق والفهرسة، بإشراف أ. د عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر وأم القرى.

(٢) الأنبياء/ ١٠٧.

(٣) جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم (حديث رقم ٧٤٦) حيث قالت أم المؤمنين: «إن خلق نبي الله كان القرآن».

(٤) القلم/ ٤. (٥) انظر صفة الأدب (٢/ ١٤١) من هذه الموسوعة.

لقد شاء المولى أن أسمى هذه الموسوعة بهذا الاسم «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» لما يحدث التحلي بأخلاق الرسول ﷺ، عامة والدعوة إلى الله تعالى بصفة خاصة، من نصرة في الوجه يتجلى نورها على الإنسان فيشرح صدره وتطيب نفسه ويناله نصيب من دعائه ﷺ: «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها»^(١)، وقد أمرنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الآخر فقال: «بلغوا عني ولو آية»^(٢).

إن نصرة الوجه في الدنيا ليست وحدها هي غاية المسلم أو الداعية، وإنما الغاية الأعظم هي التمتع بهذه «النصرة» في نعيم الآخرة أيضاً، يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(٣).

من تأمل هذه الآيات الكريمة يتضح الارتباط بين «البر» وبين «نصرة النعيم» من حيث إن الأبرار هم الذي تُعرف النصرة في وجوههم في جنة النعيم، والبر قد عرفه الرسول ﷺ بقوله: «البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٤). هي إذن موسوعة «البر» وموسوعة «حُسن الخلق» في آن واحد. إن هذا الخلق الحسن، أو الخلق العظيم الذي كانت حياة الرسول ﷺ تجسيدا له لابد وأن يتحلى به كل مسلم يريد أن يحيا حياته متأسيا بالرسول الكريم ﷺ، استجابة لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٥).

وبذلك تكون هذه الموسوعة هي أيضاً موسوعة الحياة التي يُبتغى بها وجه الله والدار الآخرة.

إن الواجب على كل مسلم يتأسى برسول الله ﷺ ويتحلى بهذه الأخلاق الحميدة، أن يتخلى عن الأخلاق السيئة فينتهي عما نهى الله عنه وعما حث رسول الله ﷺ على تركه من ذميم الأخلاق وسيء الخصال، ومن هنا كان حرصنا على أن تتضمن هذه الموسوعة الأمرين معا: ما أمر به ونهى عنه في الكتاب والسنة، لقوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٦). وما كان الأمر كذلك إلا لأن القلب أو النفس يتنازعها دائما وازع الخير (من الله تعالى) بما أودعه من فطرة وأمدته من حفظ الملائكة، ووازع الشر (من الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء)، ولكي يتحلى الإنسان بالفضيلة فلا بد أن يتخلى عن الرذيلة، ولكل جزاؤه المحدد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٧).

(١) سنن الترمذي، حديث رقم ٢٦٢٨، وانظر صفة الدعوة إلى الله ج ٥، ص ١٩٥٧.

(٢) البخاري - الفتح، حديث رقم ٣٤٦١، وانظر ج ٥، ص ١٩٥٥ من هذه الموسوعة.

(٣) المطففين/ ٢٢ - ٢٤. (٤) رواه مسلم، حديث رقم (٢٥٥٣)، وانظر صفة البر من هذه الموسوعة

(٧) الزلزلة/ ٧ - ٨.

(٦) الحشر / ٧.

(٥) الأحزاب/ ٢١.

الحاجة لهذه الموسوعة :

إنه لما كان البر وحسن الخلق متلازمين مصداقا لقول الصادق المصدوق عليه السلام «البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ» فإن محاسن الأخلاق ومكارمها ينبغي أن تكون من الوضوح بمكان، ولكن أين نجد ذلك من بين ما لا يُحصى من صفحات أمهات كتب الفضائل والآداب والأحكام ونحوها؟ وأين نقف على التحديد الدقيق لمعنى هذه الصفة أو تلك؟ في القرآن الكريم، نعم، في كتب الحديث الشريف، نعم، في كتب السيرة النبوية، نعم، في معاجم اللغة وكتب آثار السلف الصالح رحمهم الله، نعم، ولكن أنى للمسلم أن يقف على ذلك كله في وقت معقول وبوسيلة مناسبة؟ إن كتب السلف الصالح رحمهم الله على كثرتها وتنوعها لا تفي وحدها بالغرض المطلوب لتناثر الصفات بها من ناحية، واختلاف أسلوبها من ناحية ثانية، أما كتب المحدثين فإنها - في الغالب - قد اقتصرت على صفات معينة يغلب عليها طابع الانتقاء، وهنا كان التفكير في أن نوجد في المكتبة الإسلامية، ما تفتقر إليه من وجود مرجع موحد شامل، لما هو مشتمل في مئات الكتب، أي إيجاد عمل موسوعي يضم شتات صفات التربية الإسلامية وقيمها لما أمر به وما نهى عنه في الكتاب والسنة في مصدر موثق صحيح، يعيد عرضها على نحو منظم ومتكامل، وبأسلوب قريب سهل التناول يناسب عامة الناس في هذا العصر بحيث يسهل على الآباء أن يفهموها ويُفهموها أبناءهم، وعلى المدرسين أن يُعلموها تلاميذهم، وعلى الخطباء والدعاة أن يوضحوها لمن يتلقى عنهم ويستمع إليهم، وعلى رجال الصحافة والإذاعة وغيرهما من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية أن ينشروها بين الناس، ويوفروا بذلك قدرًا هائلًا من المعلومات الصحيحة والمركزة مما يساعد على رفع مستوى جودة المعلومات لديهم، ويعطي مرونة كبيرة في اختيار المادة العلمية وطريقة عرضها.

إن المسلم والداعية المتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لابد أن يدعو نفسه أولاً إلى التمسك بالخلق الحميد ويربها على ذلك في أفعاله وأقواله، وكل ذلك اقتداء بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحبا له، فإذا أحبه وجد حلاوة الإيمان، بل اكتمل بذلك إيمانه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب

عبدا لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»^(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(٢).

ومن اكتمل إيمانه، حسن خلقه مصداقا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»^(٣). ومن باب

المحبة لله عز وجل الإيمان به والمحبة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق بما جاء به، تؤخذ محبة الخلق والتأدب معهم ومعاملتهم بالإحسان وحسن الخلق، ولنا أن نتأمل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٤).

(١) البخاري - الفتح ١ (٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) البخاري - الفتح ١ (١٥)، ومسلم (٤٥).

(٣) انظر هذا الحديث بتمامه في صفة حُسن الخلق (٥/ ١٥٧٥)، وقد خرَّجناه هناك. (٤) البخاري - الفتح (١٣/١).

وبهذا يكون الداعية من الذين اتبعوا رسول الله ﷺ، وهو بذلك يحمل برهان حب الله له ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(١)، وإذا أحب الله العبد حُب فيه الناس، ووضع له القبول في الأرض مصداق ذلك ما جاء في الحديث الشريف: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٢).

فإذا ربَّى الإنسان نفسه على حب الرسول ﷺ واتباعه، توجه إلى أهله وأبنائه وعشيرته الأقربين فدعاهم لما يحبيهم ويضمن لهم الفوز في الدنيا والآخرة، ثم توجه بالدعوة بعد ذلك لكل من يستطيع دعوتهم. وهذا هو عين الخير وحسن الخلق وكمال الإيمان، وثمرة ذلك كله هو القرب من رسول الله ﷺ في جنة النعيم لقوله ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»^(٣).

ولكي تؤتي هذه الدعوة ثمارها المرجوة فإن على الدعاة أن يتأسوا برسول الله ﷺ في:-

أ - أن تكون الدعوة على بصيرة وعلم، يقول الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٤).

قيل في تفسير البصيرة هي اليقين والحق^(٥). وهذه البصيرة إنما تتحقق بالتفقه في الدين، الذي هو دليل إرادة

الخير للداعية، حيث يقول الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٦).

ب - أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٧).

حيث حثه ربه بأن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمين إلى يوم القيامة^(٨)، ويقول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٩).

هي إذن موسوعة للدعوة، ومنهاج للدعاة تزودهم بالبصيرة وتمدهم بالحكمة من أفعال الرسول ﷺ وأقواله وتوجيهاته، وهي في الوقت نفسه موسوعة لتربية النفوس، وتربية الأجيال على الإيمان الصادق والإسلام الصحيح، والإحسان المرجو، وبعبارة أوجز هي موسوعة «التربية الدينية» الصحيحة لأنها تعتمد على ما جاء به القرآن الكريم ودعت إليه السنة النبوية المطهرة. لذا كان من الواضح بمكان تفسير قوله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(١) آل عمران / ٣١. (٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حديث حسن، وانظر صفات المحبة وحسن الخلق والأدب.

(٤) يوسف / ١٠٨. (٥) تفسير القرطبي، (٩ / ٢٧٤). (٦) البخاري - الفتح، حديث رقم ٧١.

(٧) النحل / ١٢٥. (٨) انظر تفسير القرطبي (١٠ / ٢٠٠). (٩) آل عمران / ١٥٩.

معناه: وإنك لعلى دين عظيم من الأديان، وليس هناك دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١).

هي إذن موسوعة الدعوة إلى الله - عز وجل - هؤلاء الذين وصفهم الله - عز وجل - وهو مالك خزائن الحسن

والإحسان، بأنهم أحسن الناس قولاً يقول سبحانه:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

ولكم أيها الأخوة والأخوات الوقوف على هذه الآية والتأمل والتدبر في معناها وقتاً طويلاً لتعرفوا كم نحن

مقصرون في أداء واجب حمل الأمانة التي حملنا إياها رسول الله ﷺ في إبلاغ الدعوة أداء لحق الوراثة في هذا التبليغ^(٣).

فأين نحن من الاقتداء بحياة رسول الله ﷺ وحياة صحابته الكرام الذين اقتدوا به في الدعوة إلى الله وهم الذين تفرقوا

بين مشارق الأرض ومغاربها وتوفوا في أبعد الأمصار في سبيل رفع كلمة الله؟

نحن أحفاد الصحابة - رضي الله عنهم - فأين نحن إذا من رفع راية هذا الشرف العظيم؟

أهداف الموسوعة وتحديات المستقبل:

يقول بعض علماء السلف الصالح: «إنه إذا كان شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه،

وبحسب منافعه تجب العناية به، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته، ولما كان أعظم الأمور خطراً وقدرًا، وأعمها

نفعاً ورفداً، ما استقام به أمر الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولى».

لما كان الأمر كذلك وجب أن نضع نصب أعيننا التحديات الآتية :-

أولاً : إن موضوع الحفاظ على القيم الأخلاقية والمثل العليا في المجتمعات الإنسانية عامة، والإسلامية بصفة

خاصة هو موضوع الساعة، ذلك أن هذه القيم باتت مهددة نتيجة للانحلال الفكري والثقافي المتواصل نتيجة الصراع

بين المثل العليا والتطور الإنساني الذي انصرف إلى تنمية مقدرات ومهارات الإنسان العلمية والتقنية ليلحق لاهثاً

بسير ركب التقدم التقني وذلك على حساب إهمال دور القيم المتعلقة بأمور الدين والعقيدة وحياة الفرد والأسرة

والمجتمع، وهذا هو الطغيان وإيثار حب الحياة الدنيا الذي ذمه الله تعالى بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٤).

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٥).

وهو الضلال الذي وصفه عز وجل بقوله:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٦).

(٢) فصلت/ ٣٣.

(١) آل عمران/ ٨٥.

(٣) انظر كلمات معالي الدكتور عبدالله التركي وزير الشؤون الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، وختام كلمة فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد في أهمية الدعوة إلى الله.

(٦) الكهف/ ١٠٤.

(٥) الأنعام/ ٤٤.

(٤) النازعات/ ٣٧ - ٣٩.

وسبب الضلال عن طريق الحق هو أن ابتغاء الحياة الدنيا أصبح هو الهدف المسيطر دون إيجاد التوازن المنشود بين الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١). لذا حدث الانحلال الذي أخذت تنهار أمام هجماته الشرسة صروح القيم ومكارم الأخلاق الإنسانية التي عرفتتها الشعوب منذ الأزل، وأخذت الحضارة الإنسانية تهتز من قواعدها، وأصبحت القيم العليا تحني رأسها خجلاً من واقع مرير تحكمت فيه الشبهات والأهواء النفسية والشهوات الجسدية من ناحية، والأهداف المادية والنفعية من جهة أخرى.

وإذا نظرنا إلى عالم اليوم وجدنا الشبهات تغلبه وتعمه، فأغلب المجتمعات يعمها الشرك والكفر والإلحاد، فمنهم من يعبد ما صنعت يده من تماثيل وأصنام، ومنهم من يعبد الحيوان والشجر، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والكواكب، ومنهم من يعبد النار، ومنهم ملحد خاوي لا يعبد شيئاً، هذا من ناحية الشبهات، أما من ناحية الشهوات فحدث ولا حرج عن انتشار تعاطي الخمر والمخدرات وانتشار دور الميسر والدعارة تحت رعاية الجريمة المنظمة وغير المنظمة، إضافة إلى انتشار المعاملات الربوية التي تتن تحت وطأتها شعوب كثيرة وتنهار أمام جبروتها مؤسسات ودول في مناطق عديدة من العالم، وهذا الوضع المخزي أدى بطبيعة الحال إلى الانحلال الفكري والخلقي وتفكك الترابط الأسري وكثرة حالات الطلاق والإجهاض والأطفال غير الشرعيين إضافة إلى تفشي جرائم العنف والأمراض المعدية والأمراض النفسية الخطيرة في كثير من المجتمعات. قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٢).

من هنا فإنه لا مجال لمقاومة هذا الانهيار إلا بالرجوع إلى أسس الفضيلة المتمثلة في مكارم أخلاق الرسول ﷺ باعتباره الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جمعاء، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

إن الرجوع إلى الصراط المستقيم يقتضي أن نتخذ من أخلاقه العظيمة أساساً للتربية الإسلامية، حتى نستطيع التصدي لمخاطر هذا الانحلال الفكري والثقافي، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥). فالعالم الإنساني لا نور له ولا رحمة فيه إذا هو تجرد عن الأخلاق وإن أزمت الحضارات ما اندثر منها وما بقي إنما يعود إلى انحلال الأخلاق^(٦).

ثانياً : أن نضع في اعتبارنا أن هناك ثورة هائلة في عالم الاتصالات، وسرعة مذهلة في إيقاع الحياة العصرية هذه الثورة، وتلك السرعة، جعلتا الكون كله قرية صغيرة يلهث فيها الأفراد وراء المعلومات السهلة الميسرة، وعلى ضوء هذه المستجدات سنحت فرصة حقيقية وطيبة سخرها الله تعالى وقادها لنا من أجل تقديم قيم أخلاق التربية

(١) القصص/ ٧٧. (٢) الروم/ ٤١. (٣) الشورى: ٥٢ - ٥٣. (٤) الأحزاب/ ٢١. (٥) الأنبياء/ ١٠٧.

(٦) شخصية الرسول ﷺ في ضوء المقاييس الإنسانية، د. عبدالحليم عويس، ص ٣١.

الإسلامية على نحو سهل وميسر، في شكل منظومة مترابطة الحلقات، متكاملة الأهداف، تشكل مدخلاً حقيقياً لمواجهة هذا التحدي الحضاري والتغلب عليه بالوسائل المناسبة في عصر سرعة المعلومات، وهذا ما حاولناه بالفعل في هذه الموسوعة بأن أوجدنا الذخيرة العلمية للقاعدة المعلوماتية اللازمة لخوض هذا التحدي.

ثالثاً : أن نعلم أن الدعوة إلى الله - عز وجل - بأسلوب عصري يتمشى مع مقتضيات العصر ومتطلباته من حيث السرعة والإمكانات ، ليست بالأمر السهل أو اليسير إذ يتطلب ذلك أن يتبنى ذو الهمم العالية وأولو العزم ما تجسده هذه الموسوعة من معانٍ سامية، ويقوموا بدعمها بقوة، توازي - إن لم تفق - قوة الخطر الداهم الذي يحيط بالعالم الإسلامي والعالم أجمع من كل حذب وصوب، وهذا هو ما نرجوه ونتوقعه بإذن الله.

رابعاً : إن خطر الحضارة المادية على القيم الإنسانية الرفيعة وفتنة شبهاها وشهواتها أصبح يهدد كل طفل وفتاة، بل كل رجل وامرأة من خلال تسربها عبر وسائل الإعلام المختلفة مثل قنوات الأقمار الصناعية والصحف والمجلات التي تغرس انحرافات، لا تتم مقاومتها إلا بتربية إسلامية أصيلة تقوم على التأسى بصاحب الخلق العظيم محمد ﷺ، ولا يتسنى ذلك على نحو كامل وشامل إلا بعون الله - عز وجل - وتوكلنا عليه أولاً، ثم من خلال طباعة هذه الموسوعة وتوزيعها ونقل معارفها بشتى الوسائل الإعلامية والتعليمية المختلفة ثانياً، بأن تكون هذه العلوم والمعارف في متناول كل مُربٍّ في البيوت والمدارس والجامعات، ويبد كل داعية وخطيب وموجه، وفي مكتبة كل مدرسة ومسجد ومنزل، وبذلك يتحصن الجميع بمكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ضد هذه الغزوة الشرسة ويصمدون أمام تلك الفتن الزائفة.

اقتراحات وتوصيات:

وأمام هذه التحديات التي أشرنا إليها والتي لا بد أن نضعها نصب أعيننا، ولكي ننجح في التصدي لمخاطر الانحلال الثقافي والفكري من ناحية، ونقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى من ناحية أخرى، فإننا نوصي بما يلي :-

أولاً : نأمل إن شاء الله أن تدخل قيم أخلاق التربية الإسلامية ضمن مناهج التعليم التخصصي في كليات الدعوة والشريعة وأصول الدين ومعاهد إعداد الدعاة ونحوها من الكليات والمعاهد التي تهتم بأمر الدعوة الإسلامية، وإنشاء تخصص جديد باسم «مكارم الأخلاق النبوية» ضمن الإطار العام لتخصص «أصول التربية الإسلامية» الموجود بالفعل في بعض كليات التربية، بحيث تكون هذه الموسوعة حجر الزاوية في هذا التخصص، ولذلك مزايا عديدة أهمها:

أ - إتاحة الفرصة أمام المعلمين لاختيار موضوعات التربية الإسلامية التي يقومون بتدريسها بحيث تكون متكاملة ومترابطة.

ب - إتاحة الفرصة أمام الخطباء لكي تكون خطبهم متناسقة ومتابعة على نحو منظم يستغرق شهوراً وربما سنوات، على نحو متدرج يكفل الانتقال السلس من صفة لأخرى، مما يجعل خطب يوم الجمعة تتصف بالموضوعية

والإقناع لوجود علاقة وربط بين خطبة هذا الأسبوع مع الأسبوع الذي سبقه والذي سيليه. وبذلك يمكن إحياء رسالة المسجد، ورفع مستوى أداء الخطب التي ستأتي مركزة ومترابطة ومعتمدة على المعلومات الموثقة الصحيحة.

ثانيًا: نأمل إن شاء الله تعالى أن تدخل موضوعات الموسوعة ضمن برامج الجامعات والكليات ذات التخصصات المختلفة ومراعاة أهمية تدريس هذه القيم فيها لأن هؤلاء المتعلمين في مختلف التخصصات سيكونون غداً إن شاء الله مدرسين ومسؤولين عن نقل هذه المعارف القيمة للجيل الذي سيليههم وبالتالي لابد لهم من أن يحصلوا على هذه العلوم ويحرصوا عليها.

وحبذا لو خصصت المدارس الثانوية دورات في مادة اختيارية تحمل مسمى «الأخلاق الإسلامية» يلتحق بها الطلاب الراغبون في زيادة ثروتهم في مجال الأخلاق، ويتسلحون بها في مواجهة التيارات الهدامة التي تهب عليهم من كل جانب.

ثالثًا: كما نأمل أن تدخل موضوعات الموسوعة ضمن النشاط الثقافي في المدارس وذلك بإجراء مسابقات حول موضوعاتها من ناحية، وتخصيص أسابيع للثقافة الإسلامية يختص كل منها بإحدى مكارم أخلاق الرسول ﷺ كأن يخصص أسبوع للصدق وآخر للأمانة، وثالث للاستقامة، ورابع لمكافحة الغش... وهكذا.

رابعًا: نأمل بعون الله تعالى أن تفتح معاهد تدريب تعقد فيها دورات يلتحق بها من أراد من عامة الناس دون قيد أو شرط، أي بغض النظر عن المؤهل العلمي، أسوة بالدورات التدريبية الأخرى التي تنهض بها معاهد الإدارة، أو معاهد تدريس الحاسب الآلي، وذلك انطلاقاً من أن ما يتعلق بمكارم أخلاق الرسول ﷺ هو في حقيقة الأمر دورة في علوم ومعارف الحياة الإنسانية بأرقى معانيها، ومما يدعم هذا المطلب ويقويه أنه لا توجد حتى الآن قنوات لتغذية المطالب المتزايدة - في ظل الصحوة الإسلامية الحالية - بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام، اللهم إلا في الكليات أو المعاهد المتخصصة التي لا يمكن الالتحاق بها إلا وفقاً لشروط لا تيسر سوى لأعداد محدودة من الراغبين في التزود بمثل هذه المعلومات.

إن إعطاء هذه المعلومات الصحيحة عن القيم الإسلامية وأخلاق المسلمين كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة لعامة الناس وفقاً لمنهج علمي متكامل أصبح مطلباً ملحاً في عالم اليوم، ولا بد أن تنهض به معاهد تنتشر في كل أرجاء العالم ويلتحق بها كل الراغبين.

وينبغي أن نشدد القول على أن نقطة الضعف المهمة جداً والتي يجب الانتباه إليها هي أنه في غياب تنظيم عملية تلقي المعلومات في ظل الصحوة الإسلامية العالمية الكبيرة سيظل الباب مفتوحاً على مصراعيه لتقديم معلومات مغلوبة ومشوشة بدون منهج علمي محدد أو مرشد يعتمد عليه أو معين يوثق فيه.

إن أساس النجاح في أي عمل هو التخطيط والتنظيم وحسن السيطرة والتوجيه والإدارة، فإذا ما توافرت هذه الأمور في إنشاء تلك المعاهد وأعد لها الإعداد الجيد باستخدام هذه الموسوعة قاعدة لمنهج المعلومات فإن ثمرتها ستعم أرجاء المعمورة كلها بإذن الله تعالى.

خامسًا : على المستوى العالمي - وكما هو معروف - فإن دعوة الإسلام رسالة عالمية للناس كافة، ومن ثم ينبغي أن يكون خلقه العظيم ﷺ أسوة للبشر جميعًا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). ولكن كيف للناس في شتى بقاع المعمورة أن يعرفوا هذه القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة على الوجه المطلوب؟

لا يتم ذلك إلا بعون الله - عز وجل - وتيسيره بترجمة الموسوعة إلى ما يلي :-

(١) إلى لغات العالم الإسلامي في كل القارات، في آسيا مثل الأوردو والبنغالية والهندية والملاوية والفارسية والصينية، وإفريقيا مثل الهوسا واليوربا والفلاتا والسواحيلية. وأوروبا مثل الألبانية والبوسنية. وقد انتهينا والحمد لله من الترجمة إلى لغة الأوردو.

(٢) الترجمة إلى اللغات العالمية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية. ونحن في سبيل المباشرة بالترجمة للغة الإنجليزية وغيرها إن شاء الله.

(٣) الحرص على برمجة هذه المعلومات بمختلف اللغات على الحاسب الآلي وإصدارها في أقراص الليزر ضمن برامج الوسائط المتعددة التي تشمل النص والصوت والصورة. وفي هذا تسهيل لعرضها على شبكة المعلومات (الانترنت) العالمية.

سادسًا : ويتعلق بالتحرك على المستوى العالمي أيضًا عقد ندوات عالمية تتخذ من الأخلاق الإسلامية موضوعها الأساسي ويتصل بها عقد مسابقات دولية على غرار مؤتمرات ومسابقات تحفيظ القرآن، وحبذا لو كان ذلك في مدينة الرسول الكريم المدينة المنورة ﷺ.

الثمرات المرجوة:

إن لتنفيذ هذه الخطوات وتحقيق تلك الطموحات السالفة الذكر ثمار عديدة نُجملُها فيما يلي :-

١- رفع الوعي العام بأهمية موضوع مكارم الأخلاق لدى شعوب العالم كافة والشعوب الإسلامية بوجه خاص، ويترتب على ذلك تحسين مستوى التعليم ووضع مبادئ التربية الإسلامية في المكان اللائق بين مختلف النظم التربوية في العالم، وسوف تكون الصفات الكريمة التي تضمنتها الموسوعة مجالاً خصباً لإعداد المقالات والنشرات في الصحف اليومية والمجلات والبرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون، ونحو ذلك وهي بذلك تسد ثغرة في المكتبة الإسلامية بما تتيحه من وجود مصدر موحد ومرجع شامل يوفر للمرء كل ما يحتاجه ويتمنى معرفته ابتداءً من السيرة النبوية وانتهاءً بتفاصيل مكارم الأخلاق النبوية.

٢- إن تنفيذ التوصيات سالفه الذكر سينجح بإذن الله في سد هذا الفراغ الكبير في الساحة الثقافية والحضارية، إضافة إلى أنه سيغلق الباب أمام تيارات الانحراف والفساد الوافدة على العالم الإسلامي من الخارج، وفي الوقت نفسه يتصدى للإرهاب الفكري للحركات الضالة التي تتستر باسم الإسلام، ويقف سدًا منيعًا أمام حركات الغلو والتطرف التي تسعى إلى طرح نفسها بديلًا يملأ الفراغ في الساحة الفكرية والثقافية.

والموسوعة إذ تقدم البديل الأمثل المتمثل في مكارم أخلاق سيد الخلق محمد ﷺ وما يدعو إليه الدين الحنيف من المحبة والألفة والتسامح والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، تيسر بإذن الله السبيل لمن أراد أن يدعو إلى نبذ العنف ومحاربة الجهل والظلم وخاصة جهل الإنسان لدينه ولنفسه، وظلمه لها أو للآخرين.

٣- إن تواجد هذه البرامج بقوة على الساحة الدولية سيساعد كثيرًا في تحسين مستوى الدعوة إلى الإسلام وتحسين صورة الإسلام التي يشوهها المغرضون، حيث إنه يمكن عرض قيم مكارم أخلاق الدين الإسلامي بديلًا للانحلال الخلقي الذي تعاني منه الكثير من الشعوب ويمكن طرح هذا الأمر ليس في المحافل الدينية فحسب بل على منابر المؤتمرات المتخصصة في مجالات التعليم والطب النفسي والتربية والدراسات الاجتماعية ولقاءات حوار الحضارات بين الأمم.

٤- إن سرعة نقل المعلومات وإمكانية التقاطها بيسر وسهولة داخل المنازل عبر شبكة المعلومات (الانترنت) العالمية ستصبح وسيلة فعالة لوضع برامج العلوم الإسلامية وخاصة ما تتعلق من ذلك بالأخلاق النبوية الكريمة على قدم المساواة مع بقية العلوم الأخرى، وبذلك تتاح فرصة أكبر لكل تواق إلى المعرفة باحث عن الحقيقة كي يصل إلى غايته بيسر وسهولة وبحمد الله وعونه تم تسجيل عنوان لهذه الموسوعة على شبكة الانترنت بمسمى «محمد رسول الله ﷺ»، وهذا العنوان مدون في ظهر صفحة مسمى الموسوعة في أول المجلد هو خطوة أولى لتقديم معلومات الموسوعة عالميًا إن شاء الله.

روح الأمل والمستقبل :

أما الثمرة العظمى التي نرجوا قطافها من هذه الموسوعة فهي غرس روح الأمل في مستقبل مشرق يعم العالم الإسلامي، بل والعالم كله، إن نحن سرنا على الصراط المستقيم الذي دعانا إليه رسول الله ﷺ وتأسينا بأخلاقه، وإذا كان الله - عز وجل - أخذ ميثاق النبيين بأن يؤمنوا بهذا الرسول وأشهدهم وشهد معهم وينصروه فالأولى بنا الاقتداء بهم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١).

نصر الله وعد الحق :

لقد وعدنا الله بالنصر المبين إذا نحن نصرناه، باتباع دينه والاهتداء بسنة نبيه ﷺ في تبليغ دعوة الله إلى الخلق وإقامة شريعته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

لقد وعد المولى - عز وجل - البشرية كلها بالفلاح والفوز إن هم نصرُوا رسوله ﷺ واتبَعُوا النور الذي أنزل معه، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، وبذلك يتحقق خروج العالم مرة أخرى من الظلمات إلى النور، من ظلمات الباطل والجهل والانحلال إلى نور الحق والعلم والتمسك بقيم الخلق العظيم.

وطريقنا إلى هذا النصر الموعود كما أوجزه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يتمثل في تقوى الله وفي الصدق في كل شيء، والتمسك بالخلق الحميد، ونصرة الله تعالى، يقول فضيلته في إحدى خطبه الجامعة: اصدقوا الله تعالى في عقائدكم وفي نياتكم في أقوالكم وفي أفعالكم، عاملوا الله تعالى كما أمركم أن تعاملوه به، اعبدوه مخلصين له الدين، التزموا شريعته غير مغالين ولا مفرطين، انصروا الله تعالى بالانتصار على أنفسكم الأماراة بالسوء، والتغلب على أهوائكم التي تهوي بكم إلى النار، انصروا الله تعالى بالغيرة لدينه وحمايته والذود عنه، فإن الله يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

فيا أمة القرآن، يا أمة محمد ﷺ، يا أمة التوحيد والإيمان، إن هذه الآيات الكريمة وهذه الوعود المؤكدة الصادقة كلام ربكم العليم القدير، القوي العزيز، ولقد صدق الله وعده، وأنجز نصره، وهزم الأحزاب وحده، لقد كان ذلك حينما كانت الأمة الإسلامية قائمة بالشرط المشروط عليها للنصر تؤمن بالله ورسوله وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالنصر من عند الله - عز وجل - لأنها تؤمن بأن الله وحده عاقبة الأمور، لا ترهب الأعداء ولا تخاف من قواهم المادية، وإنما تقابل عددهم بشجاعة وعددهم بما هو أقوى وأعتى، وأفكارهم وتصرفاتهم الماكرة بما هو أدهى وأنكى، ممثلين بذلك أمر الله - عز وجل - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٤). معتمدين في ذلك على الله - عز وجل -: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥).

مؤمنين بقول من بيده ملكوت السماوات والأرض وهو يجير ولا يجار عليه ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ

(٢) الأعراف/ ١٥٧.

(١) الحج/ ٤٠.

(٥) آل عمران/ ١٥٩.

(٤) الأنفال/ ٦٠.

(٣) النور/ ٥٥.

يُحَذِّكُم مِّنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(١)،^(٢).

شكر وتقدير:

نتقدم بخالص الشكر والتقدير لصاحب الفضيلة الدكتور الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين عضو هيئة الإفتاء - الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الذي تفضل بقراءة هذه الموسوعة وهي في صورتها الأولية وقدم لها في كلمة وافية عن الإسلام ومكارم الأخلاق والدعوة قال فيها: «ولا شك أنه جهد كبير وعمل واسع، يستدعي بذل الوسع، والحرص على الاستقصاء، ولذلك استغرق الجمع والبذل والكتابة فيها وقتاً طويلاً رغم توافر الجهود، وكثرة الباحثين، حتى أنتجوا هذا العمل المشكور الذي يرجى نفعه إن شاء الله للمبتدئ والمحتدي، والراعي والرعية، والفرد والمجتمع، فلقد أراحوا طالب الاستفادة من كثرة العناية في البحث والتنقيب في أمهات كتب الأحكام، وكتب الفضائل وكتب الآداب، وكتب الأوامر والنواهي والزواجر ونحوها، وأحالوا القارئ إلى الأماكن التي توسع مؤلفوها في تلك المسائل بإيراد النقول والآثار والعلل والأحكام والمنافع والمضار، فنوصي طالب العلم بالحرص على اقتناء مثل هذه الموسوعة الطيبة المباركة، ومراجعتها عند الحاجة والاستفادة منها، وشغل أوقات الفراغ بمطالعة ما تيسر من الأبواب والمسائل، فهي مرجع أساسي للدعاة والمصلحين، والخطباء والوعاظ، والمفتين والقضاة واللغويين وغيرهم. فلفظيلته منا ومن بقية العاملين بالموسوعة خالص الشكر والتقدير والامتنان على ما قدمه من اهتمام ورعاية حفظه الله ورعاه.

كما أننا نتقدم بالشكر وافراً وجزياً لمعالي الدكتور الشيخ عبدالله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، لما تفضل به معاليه من اطلاع على الموسوعة وإشادته بأهمية الدعوة إلى الإسلام ومكارم الأخلاق في تقريره لهذه الموسوعة التي قال فيها: «إن هذه الموسوعة عمل علمي مبارك، وجهد موفق في سبيل الفضيلة تأصيلاً وتطبيقاً». وقال معاليه: «والناظر في هذه الموسوعة، يدرك لأول وهلة، أنها من أوليات ما تحتاج إليه الدعوة إلى الله، فهي تيسر خلق الإسلام وهدية أمام المسلم، وتظهر جانباً هاماً مما ورد في القرآن الكريم من العلوم والمعارف، وهو جانب الأخلاق، الذي جعله الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أوليات رسالته وأهداف بعثته». فجزاه الله عنا خير الجزاء، وجعل ذلك الاهتمام بالموسوعة في ميزان حسناته، ووفقه دائماً إلى ما فيه صالح الإسلام والمسلمين.

كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأساتذة الأفاضل رؤساء اللجان وأعضاءها جميعاً ومن شارك في إعداد هذه الموسوعة بدون استثناء على ما بذلوه من إخلاص وجهد ووقت في سبيل إنجاز هذا العمل، وخاصة فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقاً،

(١) آل عمران/ ١٦٠.

(٢) الضياء اللامع، محمد صالح بن عثيمين، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

إذ تبني فضيلته هذه الموسوعة وأشرف عليها منذ كانت فكرة حتى صارت عملاً علمياً متكامل الأركان وثيق البنيان،
وندعو الله العلي القدير له بمزيد من الصحة والتوفيق والنجاح في خدمة الإسلام والمسلمين.

كما نشكر الأستاذين الفاضلين أ. د. علي خليل مصطفى أبو العينين رئيس لجنة المراجعة والضبط، وأ. د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي رئيس اللجنة اللغوية على ما بذلاه من جهد مشكور في إعداد هذه الموسوعة وإخراجها على النحو اللائق، كما نشكر الأخ الكريم أ. د. حسام الدين قوام الدين حسن السامرائي على جهوده في إعداد السيرة النبوية، ونتقدم بالشكر أيضاً إلى الأخ الفاضل الأستاذ فؤاد محمد نور أبو الخير الذي تابع هذا العمل منذ اللحظات الأولى، كما نشكر أعضاء فريق الحاسب الآلي على ما بذلوه من جهد جبّار لا يعرف الكلل أو الملل في تنضيد وتصحيح الموسوعة، إنهم حقاً الجنود المجهولون الذين قضوا الساعات الطوال خلف أجهزة الحاسوب في سبيل إخراج هذه الموسوعة على هذه الصورة المشرقة، ونخص منهم بالذكر الأساتذة: توني نجيب زيدان أحمد، وطارق علي بيومي، وهاني محمد عبدربه.

أما على المستوى الشخصي فإني أقدم خالص شكري وعظيم تقديري لكافة الإخوة والأصدقاء الذين أمدوني بالتشجيع طيلة هذه السنوات التسع، وأخص في هذا المقام زوجتي وأبنائي الأعزاء الذين صبروا وعانوا كثيراً بسبب غيابي عن المنزل وبقائي أسيراً - لساعات طوال - في مكتبي مع بقية أعضاء فرق العمل بين الورق وأمهات الكتب، فلهم مني أطيب تقدير وخالص الامتنان، وأتوجه إلى العلي القدير بأن يحفظهم ويرعاهم هم وعامة إخواني وأخواتي من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأن يجعلهم جميعاً من المقتدين برسول الله ﷺ ومن أصحاب نضرة النعيم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح

جدة - المملكة العربية السعودية

في العشرين من شعبان سنة ١٤١٨ هـ

الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة نظره النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

تقريظ

لمعالي الدكتور: عبدالله بن عبد المحسن التركي
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، والعاملين بهديه وسنته، إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإنه منذ ظهرت رسالة الإسلام، وفي حياة النبي ﷺ، تأسست قواعد الدعوة إلى الله تعالى، وظهرت أصولها، وتنوعت أساليبها، على هدي الوحي الإلهي، في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ.

إن دعوة محمد ﷺ، كما أرادها الله، هي ختام الوحي الإلهي، الذي بلغه خاتم الأنبياء إلى البشر، وهي الدعوة التي تخاطب الناس جميعاً الأفراد والأمم والشعوب، إلى آخر الدهر.

يقول جل شأنه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وقد جاءت في القرآن الكريم قواعد الدعوة، وتحددت مناهجها، في مخاطبة العقول والقلوب والنفوس.

يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وكان الرسول صلوات الله عليه وسلامه في حياته الشريفة، وبالتكريم الإلهي له، قدوة للمسلمين جميعاً، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

لقد وصفه الله تعالى في جميع أقواله وأفعاله وأحواله بأنه على خلق عظيم، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣). وهو الرحمة المهداة إلى البشر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(٣) سورة القلم: آية ٤.
(٤) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٨.
(٢) سورة النحل: آية ١٢٥.

فالدعوة إلى الله رحمة للخلق في أهدافها وغاياتها. وهي تحتاج إلى الرحمة في ترغيب الناس فيها، وتقريبهم منها، ولذلك كانت الرحمة التي أودعها الله في قلب نبيه ورسوله للناس جميعاً، أعظم عون للرسول في جمع الناس على الهدى، والاعتصام بحبل الله المتين.

ففي القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

وعلى هذا الهدي الإلهي، في الكتاب والسنة، سار أئمة الدعاة في كل عصر من عصور الإسلام. وكان انتشار الإسلام في أقطار الأرض كلها نتيجة جهدهم وثمره اتباعهم للهدي الإلهي في تبليغ الدعوة، ومخاطبة العقول، وتزكية النفوس.

وكان من أئمة الدعاة إلى الله في مختلف الأزمنة والأمكنة، القراء والفقهاء والعلماء، والصالحون من الناس. وكان لكل منهم أثر كبير في هداية الخلق، ببيان كلمة الله، وإظهار حكمه وشرعه، وبضرب الأمثلة في حسن الأدب مع الله، والاتباع لما دعا إليه الدين من مكارم الأخلاق في التعامل مع الناس. وهذا الجانب الأخير كان له أعظم الأثر في انتشار الإسلام بين الأمم، فإن المسلم حين يظهر بين الناس بأخلاق الإسلام وهديه، يكون قوله وفعله الذي يتأسى فيه بالرسول ﷺ، من أعظم الوسائل في الدعوة إلى الله، ومن ثم يكون الاقتناع والاتباع.

إن إكمال مكارم الأخلاق يعد من أعظم المهمات، وأهم الغايات في رسالة الإسلام.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٢).

* وأخلاق الرسول ﷺ هي الأخلاق التي بينها ربنا جل وعز، ودعانا إلى اتباعها في القرآن الكريم، وقد أدركت ذلك، وشهدته رؤية عين، أقرب الناس إلى الرسول ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فلم تجد وصفاً يبين عظمة أخلاق الرسول ﷺ، إلا بنسبة هذه الأخلاق إلى الوحي الإلهي، في كماله وجلاله. فقالت: «كان خلقه القرآن»^(٣).

* ولذلك، فإن الخير كل الخير في أن تكون أخلاق الرسول ﷺ في عظمتها وشمولها، معروفة للمسلمين جميعاً، ليكون الاتباع، ولتظهر الأسوة الحسنة، في حياته الشريفة، التي أرادها الله لنا مثلاً في حياة الإنسان، وتعامله مع الناس على هدى الإسلام.

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٩٠٤ / ٢) بلاغاً عن النبي ﷺ، وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني (١ / ٢٤٤-٢٤٥) رقم (٦٧٨).

(٣) قطعة من حديث رواه أحمد في «المسند» (٦ / ٩١ و ١٦٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٤٩٩) وهو حديث صحيح.

وهذا الجانب من جوانب الدعوة ، له أهميته البالغة في هذا العصر بالذات، وفي كثير من البلاد الإسلامية. فقد تبدّل، كثير من القيم التي أرساها الإسلام، وتغير النظر إليها في بعض الأحيان، تأثراً بقيم واردة، وأفكار وافدة على العالم الإسلامي. وهي في مجملها تنظر للأخلاق كأنها قيم اجتماعية، يضعها البشر ويتعارفون عليها بأنفسهم، وتقطع صلة الأخلاق بالدين وبالوحي الإلهي، حتى يكون في مقدور الناس أن يغيروا ويبدلوا في قيم الأخلاق ، وفي السلوك والتعامل بينهم، بحسب الأهواء والمصالح ، على اختلاف الزمان والمكان.

ولكن المسلمين جميعاً، وبفضل معرفتهم بالأخلاق التي جاءت في القرآن الكريم، وظهرت قدوة وأسوة حسنة في حياة الرسول ﷺ، لا يجوز عليهم هذا التضييل، فهم يعرفون أن الرسالة الخاتمة هي التي أكملت البناء الأخلاقي للبشر إلى يوم الدين. وصدق رسول الله ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

* إن الموسوعة التي بين أيدينا ، «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» تتناول جانباً هاماً من جوانب الدعوة إلى الله تعالى، وإرشاد الخلق إلى ما فيه سعادة الدارين، وهي موسوعة تربوية تتعهد النفوس بالإصلاح والتزكية على الأساس الخلقي القويم، من الخلق النبوي الكريم، وتضع أمام المسلمين على اختلاف الشرائع العمرية والثقافية. نموذجاً حياً للخلق الإسلامي، من الهدى القرآني، ومن السنة النبوية، قولاً وفعلًا وحالاً.

وقد اجتهد واضعو هذه الموسوعة، في جمع فضائل الرسول ﷺ، كما وردت في المنقول الصحيح في عشرات الكتب والمراجع، لا سيما كتب السيرة والسنة النبوية، كما ورد فيها ما نهى عنه الله ورسوله، من مذموم الأقوال والأفعال والأحوال.

* وقد سلك واضعو الموسوعة، في تبويبها وترتيبها بحسب موضوعاتها، طريقة تحقق الفائدة واليسر معاً. فرتبوا الصفات والسجايا والفضائل، ترتيباً هجائياً، ولا شك أن ذلك اقتضى منهم جهداً علمياً كبيراً، يظهر في سلامة هذا الترتيب ودقته، الذي تظهر فيه القيم الإسلامية الكبرى، وما يندرج تحتها من أفعال الرسول وصفاته وسجاياه ﷺ، مما يعدّ تعليماً وإرشاداً للمسلمين، وأسوة حسنة لهم في كل ما يأتونه، وما يتجنبونه من أقوال وأفعال وأحوال.

كما تقدم هذه الموسوعة زاداً علمياً لكثير من المسلمين، وتيسر البحث والمعرفة في هذا المجال على المتخصصين في الدراسات الإسلامية.

وتنفع الأئمة في المساجد والوعاظ، في حلقات الوعظ والإرشاد، بما اشتملت عليه من معرفة الفروق الدقيقة بين صفات وأفعال تستحب من المسلم، ربما تبدو متماثلة مع ما بينها من فروق دقيقة أوضحتها الموسوعة، كالفرق بين

الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة، والفرق بين الابتهاال والدعاء، والفرق بين التفكير والتدبر والتذكر، وبين الحنان والعطف، وغير ذلك مما عرضت له الموسوعة، ببيان معناه لغة أو اصطلاحاً، وبيان ما يتفرع منه إلى أنواع كالأدب، وجمعت الموسوعة، هذه الصفات والسجايا من الأصلين العظيمين، القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، وأضافت إليهما ما ورد من آثار بشأنها، فردت كل صفة وسجية وفضيلة إلى أصلها القرآني، أو مثلها الأعلى في التطبيق النبوي.

* والناظر في هذه الموسوعة، يدرك لأول وهلة، أنها من أوليات ما تحتاج إليه الدعوة إلى الله، فهي تيسر خلق الإسلام وهدية أمام المسلم، وتظهر جانباً هاماً مما ورد في القرآن الكريم من العلوم والمعارف، وهو جانب الأخلاق، الذي جعله الرسول صلوات الله عليه وسلامه من أوليات رسالته وأهداف بعثته.

وبهذا يظهر تميز الأمة الإسلامية ببنائها الأخلاقي. هذا البناء الذي يعتبر جانباً جوهرياً وهاماً من الدين، ومنهجاً إسلامياً كاملاً في السلوك.

وقيم هذا المنهج وفضائله ليست نتاجاً اجتماعياً يتغير ويتبدل بحسب الزمان والمكان والمصالح والأهواء، وليست فرعاً من فروع المعرفة، يُعلّم للناس دون أن يقترن بالاتباع والتطبيق في حياة المسلم.

وبذلك تكتمل صورة الخلق النبوي أمام المسلم، وهي صورة ينبغي على الدعاة والخطباء والعلماء توضيحها، وبيان أهميتها، باعتبارها مثلاً أعلى يطلبه المسلم، ويستهدي به في تعامله مع الناس، مما يتحقق معه أمل كل مجتمع مسلم في الإصلاح الديني والاجتماعي.

وهو جانب هام يرجى أن تلتفت إليه أجهزة الدعوة ووسائل الإعلام، على تنوع أدواتها ومجالات عملها، والمخاطبين برسالتها، فيكون للتربية وتركيب النفوس جانب من اهتمامها، فإن النفس إذا صلحت بالتربية والتزكية، وتحلت بفضائل الأخلاق، وتخلت عن المذموم منها، تكون أقرب إلى اتباع شرع الله وحكمه، وأصدق في العمل به، وأهدى وأقوم سبيلاً في الدعوة إليه بين الناس.

* إن هذه الموسوعة، عمل علمي مبارك، وجهد موفق في سبيل الفضيلة، تأصيلاً وتطبيقاً، فجزى الله القائمين عليها خيراً، ونفع بعملهم هذا المسلمين.

وإنه لمن دواعي سروري واغترابي، أن أكتب كلمة عن هذه الموسوعة، بناء على طلب الأخ عبدالرحمن محمد بن ملوح، المدير العام لدار الوسيلة للنشر والتوزيع، شاكرًا له ولجميع العاملين فيها، والمشرفين على إعداد الموسوعة، وفي مقدمتهم معالي الأخ الفاضل الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، إمام الحرم المكي وخطيبه، جهدهم الكبير.

أسأل الله أن يجزل ثوبتهم، ويكتب عملهم في سجل حسناتهم.

إنه عمل يستحق الشكر والتقدير والثناء على كل من تعاون فيه.
أسأل الله أن ينفع بهذه الموسوعة أبناء المسلمين، وأن يجعل القدوة والأسوة الحسنة في حياة الرسول ﷺ، قريبة منهم، ومثلاً أعلى لهم، يظهر ذلك في تعاملهم مع بعضهم، ومع الناس كافة.
وهي الغاية التي يسعى إليها الدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان.
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
في المملكة العربية السعودية

تقريظ

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين
عضو هيئة الإفتاء - الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام وأرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، أحمدده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الهيئته وأفعاله وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدى الله به الأمة من الضلال وأرشدتهم به من الغواية وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه ومن سار على نهجه واتبع هداه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد .. فإن ربنا جل وعلا لما أوجد هذا الكون بما فيه من عجائب المخلوقات كان من بين من خلقه نوع الإنسان الذي ميزه بالعقل والإدراك وفضله على كثير من خلقه كما قال تعالى ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^(١) وكان من آثار هذا التكريم والتفضيل أن خصهم بالتكليف فأمرهم بعبادته وطاعته ونهاهم عن معصيته ومخالفته، وأرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لبيان شرائعه التي كلف بها عباده وشرح لهم دينه الذي فرض عليهم اعتناقه، وختم أولئك الرسل بنبينا محمد بن عبدالله الهاشمي النبي الأمي ﷺ وجعل شريعته خاتمة الشرائع، وكان من لوازم ختم النبوة به أن عمم رسالته إلى الأحمر والأسود والعربي والعجمي والجن والإنس والقاصي والداني ومن آثار ذلك أن جعل دينه صالحاً ومناسباً في كل زمان ومكان، وقد ضمن الله تعالى لهذه الشريعة الظهور، ولأهلها التمكين والنصر والغلبة بجميع أنواعها قال الله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾^(٢) ولقد صدق الله وعده - وهو لا يخلف الميعاد - فأظهر المؤمنين الصادقين في صدر هذه الأمة ونصرهم على أعدائهم، ومكن لهم في البلاد حتى انتشر هذا الدين وظهر وغلب على سائر الأديان، ونصر الله أهله وقواهم به قال تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾^(٤) فجند الله هم أهل شريعته ودينه. ولهم الغلبة بالسيف والسنان، وبالحنّة واللسان، وذلك أن ربهم معهم يؤيدهم ويقويهم ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾^(٥) ثم إنه تعالى تضمن لأهل هذه الشريعة الحياة السعيدة الطيبة والراحة والطمأنينة وسرور القلب ونعيمه في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة، فقال تعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾^(٦) وقال تعالى ﴿لنبؤنّهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾^(٧) والواقع أكبر دليل

(٥) سورة آل عمران: آية ١٦٠.

(٦) سورة النحل: آية ٩٧.

(٧) سورة النحل: آية ٤١.

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) سورة النور: آية ٥٥.

(٣) سورة المنافقون: آية ٨.

(٤) سورة الصافات: آية ١٧٣.

وشاهد على تحقق ذلك، فإن أهل الإسلام كلما سلمت عقائدهم وصلحت أعمالهم وأحوالهم وابتعدوا عن الكفر والشرك والمعاصي وتبرأوا من الكفار وأعمالهم وأخلصوا دينهم لله تعالى فإنهم يحيون في هذه الدنيا في أعظم الراحة والسرور ويغتبطون بدينهم ويقتنعون بما رزقهم الله، وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ويرضون ويسلمون لقضائه وقدره، ذلك أن هذه الشريعة الإسلامية فيها الهدى والرشاد ودين الحق الذي تضمنته رسالة هذا النبي الكريم قال الله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(١) والهدى هو البيان والدلالة والإرشاد بمعنى أن من اتبعه كان مهتدياً سائراً على النهج القويم والصراط المستقيم الذي لا يزيغ من سلكه على حد قوله تعالى ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾^(٢) وذلك يدل بوضوح أنه مشتمل على كل ما تمس إليه حاجة البشر مما يتعلق بعبادتهم وقرباتهم وبمعاملاتهم وشئون حياتهم، وذلك من وصف هذه الرسالة بالهدى ودين الحق فإن الحق ضد الباطل، وهذا وصف مطابق للواقع لأن كل ما جاء به هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام حق وصدق بعيد كل البعد عن اللهو والباطل والفساد بل مشتمل على كل قول يدحض أي باطل ويدمغه كما في قول الله تعالى ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^(٤) فلا بد إن هذا الدين الحق قد اشتمل على كل خير ودل الأمة على ما هو الأصلح لهم في معاشهم ومعادهم وأوضح لهم المنهاج القويم الذي يؤدي بمن سلكه إلى النجاة في الدنيا والآخرة.

وقد وصف الله كتابه المنزل على هذا النبي الكريم بأنه هدى وشفاء قال الله تعالى ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾^(٥) وقال تعالى ﴿يأياها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾^(٦) وهذه الأوصاف الشريفة الرفيعة تقتضي أنه مشتمل على كل خير وأن الشريعة التي اشتمل على بيانها واضحة المنهاج كاملة في أهدافها ومقاصدها وحاجياتها، كما تقتضي من كل المخاطبين اعتناقه وتقبل كل تعاليمه والسير على نهجه وشدة التمسك به رغم ما قد يحصل من عوائق أو ضيق حال أو أذى أو تعذيب في سبيل هذه الشريعة الغراء وذلك ما عمل به الرعيل الأول وصدر هذه الأمة حتى ظفروا بالمطلوب وحصلوا على خيري الدنيا والآخرة.

وهكذا وصف الله هذا الكتاب بما يقتضي بيانه لكل شيء وشموله لجميع الأحكام، قال الله تعالى ﴿آل تلك آيات الكتاب المبين﴾^(٧) وقال تعالى ﴿حَمَّ وَالكتاب المبين﴾^(٨) وقال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾^(٩) في آيات كثيرة يصف الله هذا القرآن بأنه مبين أي بين واضح قد بين الله فيه الهدى والرشاد وشرح فيه المناهج والأحكام والحلال والحرام كما يصفه بأنه نور أي يضيء للسالكين أحكامه في غاية الاستنارة والسطوع وهذه الصفات ونحوها

(١) سورة يونس : آية ٥٧.

(٢) أول سورة يوسف.

(٣) أول سورة الزخرف

(٤) سورة المائدة : آية ١٥-١٦.

(١) سورة الصف : آية ٩.

(٢) سورة طه : آية ١٢٣.

(٣) سورة الأنبياء : آية ١٨.

(٤) سورة الإسراء : آية ٨١.

(٥) سورة الإسراء : آية ٨٢.

تفيد كماله وشمول أحكامه لكل ما تمس إليه الحاجة في العبادات والمعاملات، والعقود والعهود والعقائد والأعمال، في الحال والمآل وغير ذلك. وهكذا أخبر عز وجل عن هذا الكتاب العظيم بأنه بيان وبصائر كما في قوله تعالى ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾^(١) وقوله تعالى ﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾^(٢) وقوله ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾^(٣) وكذا قوله تعالى ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾^(٤) ولاشك أن هذه الأوصاف الشريفة يفهم منها أنه بيان عام وإيضاح لحاجات الناس وأحكامهم وبصائر تنور الطرق وتوضح المناهج والسبل ليكون الناس على بصيرة من أمرهم وليعبدوا ربهم على نور وبرهان، وليتركوا ما كانوا فيه من الجهل العظيم والظلمات المدهمة رحمة من الله بالعباد، وذكرى وموعظة لهم وإرشاداً وتحويلاً وتحذيراً عن التهادي في الغي والاستمرار على ما هم فيه قبله من الضلال المبين، ولاشك أن هذه الأوصاف الشريفة تدل على عمومته لحاجات الأمة نصّاً أو إشارة وتضمنه لحل المشكلات وإيضاح المبهات وبيان الحق للناس في أمور دينهم ودنياهم ضد ما يقوله الأعداء والمنافقون من تقصيره وإخلاله بالأحكام أو تخصيصه بزمان دون زمان، أو قصره على العبادات والقربات دون العقود والمعاملات ونحو ذلك من الأقوال السخيفة الساقطة، والظنون والأباطيل الكاذبة، والتخرصات الباطلة التي يروجها الأعداء ومن انخدع بهم للحط من قدر هذا الكتاب المبين، وللتحرر كما زعموا من التقيد بعلوم الشريعة والتصرف في حياتهم حسب الميول والأهواء، وقد نسوا أو تناسوا أن هذا القرآن الذي يعترفون بأنه تنزيل من حكيم حميد وآية معجزة من الله تعالى دال على صدق هذا النبي الكريم، قد بين الله تعالى فيه أصول الدين وأشار إلى مسائله وقال في حقه ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^(٥) فعموم قوله تعالى ﴿تبياناً لكل شيء﴾ يصدق على أصول الأحكام وأسس العقائد وقواعد الدين وهذا هو السر في وصف الدين بالكمال قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٦) وهذه الآية نزلت في حجة الوداع في آخر حياة النبي ﷺ فقد تضمنت أن هذا الدين قد كمله الله وأتمه وأكمل الشرائع والأدلة وسائر الأحكام فقد بين الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ما يلزم العباد من الطاعات والقربات التي هي حقوق الله عليهم فبين لهم أولاً أنه ربهم ومالكهم، ولفت أنظارهم إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من الآيات وعجائب المخلوقات التي فطر الله جميع الخلق على الاعتراف بأنها صنعه وإبداعه كقوله عز وجل ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾^(٧) ... الآيات وقوله ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً * والجال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً...﴾^(٨) إلخ.. وقوله ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾^(٩) الآيات وقوله ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شققاً﴾^(١٠) الآيات... إلخ وقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾^(١١) ونحو ذلك، ثم بين لهم حيث أقروا بأن ما في الكون كله لله، فهو الخالق المنفرد بإيجاد المخلوقات أنه وحده

(٧) سورة المرسلات : آية ٢٥ .
(٨) سورة النبأ : الآيات ٦ - ١٦ .
(٩) سورة النازعات : آية ٢٧ .
(١٠) سورة عبس : الآيات ٢٤ - ٣٢ .
(١١) ق : آية ٦ .

(١) سورة آل عمران : ١٣٨ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠٣ .
(٣) سورة الجاثية : آية ٢٠ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٠٤ .
(٥) سورة النحل : آية ٨٩ .
(٦) سورة المائدة : آية ٣ .

المستحق لأن يفرد بالعبادة، فلا يجعل له شريك في الدعاء أو الرجاء أو التوكل أو الخضوع والركوع والسجود أو غيرها من أنواع العبادة، بل على الخلق أن يخصوه بكل أنواع التذلل والإخبات، وأن ينيبوا إليه ويعظموه حق التعظيم، لأنه ربهم وهم ملكه وعبيده وهو المنعم عليهم المتفضل عليهم بجزيل الإنعام، فمتى صدوا عنه وأعرضوا عن عبادته فقد كفروا بربهم وبدلوا نعمة الله كفرًا وصرفوا لغيره خالص حقه، لذلك دعا الله العباد إلى عبادته وحده لا شريك له، وكرر الأمر بذلك وأبدى وأعاد في ذلك وضرب لهم الأمثلة، وبَكَتْ أولئك المشركين وبين حال ما عبدوه من دون الله وأنها مخلوقة مثلهم ولا تملك لأنفسها شيئاً فضلاً عن عابديها كما وصف نفسه عز وجل بصفات الكمال ونعوت الجلال التي تتضمن إحاطته بالمخلوقات، وعلمه بالأول والآخر وسمعه وبصره المحيط بالقاصي والداني، وكل وصف يقتضي عظمته وكبريائه وقر به من العباد، ووصف نفسه بالأولية والبقاء والدوام والفضل والإنعام ونحو ذلك مما يستلزم خضوع العباد له، وإنابتهم إليه وإخلاص الدين له، ولما كانت العبادة مجملة لا دخل للعقل في معرفة مفرداتها وأمثلتها تضمن شرع الله ورسالة رسوله بيانها وإيضاح أنواعها فبين لهم العبادات البدنية كالصلاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف في المساجد ونحوها وشرح لهم جميع متعلقاتها وأركانها وشروطها وصفاتها التي تكون بها مجزئة تبرأ بها الذمة وتسلم من العهدة، كما بين لهم النوافل منها، ورغبهم في الإكثار من القربات التي يترتب عليها جزيل الثواب، وهكذا حثهم على العبادات القولية؛ فأمرهم بذكره ودعائه تضرعاً وخفية، وبتلاوة كتابه، وبال دعوة إلى دينه، كما أمر بأداء العبادات المالية، فأخبرهم بما يجب عليهم في أموالهم من زكاة ونذر وصدقة ونفقة، وبما لهم من الثواب إذا تبرعوا له بشيء من أموالهم فأنفقوه في سبيله، وهكذا أوضح لهم سائر القربات التي هي حقه على العباد، وبها يتحقق وصفهم بالعبودية له وحده. ولم يقتصر على هذا القدر من البيان بل تطرق إلى أمورهم المالية الأخرى، وأوضح لهم وجوه المكاسب ومداخل الأموال، وما يحل منها وما لا يحل وحرّم عليهم الكثير من المعاملات التي تحتوى على ضرر بالغير، من مكر ورشوة وربا وغش وسرقة ونهب وغصب إلخ.. وأباح لهم سائر المكاسب التي لا شبهة في حلها وهكذا تطرق إلى بقية الأحكام المالية فأوضح ما يحل منها وما لا يحل ولم يقف البيان الشرعي عند هذا الحد، بل بين الله في رسالة رسوله ﷺ أحكام العقود التي لها صلة بالغير من المسلمين أو غيرهم كعقد الذمة والأمان والصلح والمعاهدات. وعقد النكاح وملك اليمين وما يتصل بذلك للحاجة الضرورية في هذه الحياة إلى أمثال ذلك، وهكذا أيضاً شرع الحدود والعقوبات البدنية والمالية لما لها من الآثار الملموسة في استتباب الأمن واستقرار الحياة، فلما كان من طبع الإنسان -إلا من عصم الله- الميل إلى الشهوات والملذات ولو محرمة أو إلى الأشر والبطر أو إلى الظلم والاعتداء أو إلى السلب والنهب والسرقه والاختلاس ونحو ذلك فلو ترك هؤلاء وميولهم لاختل الأمن وعُدمت الطمأنينة في الحياة وانتشرت الفوضى، وأصبح الضعيف نهبة للقوي، وسيطر الظلمة الطغاة على البلاد والعباد، وأعلنوا كفرهم وبغيهم وفجورهم، بدون خوف أو مبالاة، فكان من حكمة الرب جل وعلا أن شرع من الزواجر والعقوبات ما يقمع أهل الشرور والمعاصي، فمن ارتد عن دينه وكفر بعد إسلامه لم يقر على ذلك بل حده القتل بكل حال إن لم يتب عن رده، ومن تعاطى السحر أو الشعوذة أو عمل الكهانة ونحو ذلك شرع قتله قبل أن يستشري فساد في البلاد مما ينافي حكمة الرب تعالى، ومن بغى على إمام المسلمين وخرج عن طاعته وفارق جماعة المسلمين لزم قتاله بعد الدعوة

والمراجعة وبيان أنه إن مات كذلك مات ميتة جاهلية، كما أمر عز وجل بالصلح بين الطائفتين المقتلتين وقتال الباغية منهما حتى تفيء إلى أمر الله، وأخبر أنهم مع هذا التقاتل لم يخرجوا عن الأخوة الإيمانية، وهكذا كتب القصاص كما في قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾^(١) كما كتبه على أهل التوراة في النفس فما دونها، قال تعالى ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(٢) وبين الحكمة والمصلحة في شرعية ذلك كما في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣) فأخبر أن في شرعية القصاص حفظ النفوس حيث إن القاتل متى تذكر أنه سيقتل أحجم وارتدع عن القتل فتقل هذه الجريمة ويحصل الأمن على الحياة، وهذا هو السر أيضا في شرعية الجزاء الرادع للمحاربين لله ورسوله الذين يسعون في الأرض فسادا وهم الذين يقطعون الطريق ويعترضون سابلة المسلمين في الأسفار لأخذ الأموال أو هتك الأعراض ونيل الشهوات المحظورة شرعا قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٤) وكل ذلك للحفاظ على أرواح الأبرياء والابقاء على نفوسهم ليهنئوا بالعيش وتقر أعينهم في هذه الحياة ويبعد عنهم كل ما يكدر صفو عيشهم وأمنهم واستقرارهم، فمن ثم يتفرغون للعلم والعمل والتفقه فيما يلزمهم لربهم من الحقوق والعبادات وليقوموا بالواجبات فيما بينهم. وهكذا أيضا تضمنت الشريعة الإسلامية الزجر الشديد عن جرائم الذنوب وكبائر الفواحش كالزنا وشرب الخمر وقذف الأبرياء المحصنين وسرقة الأموال ونحو ذلك فإن جريمة الزنا فاحشة كبرى وفعلة شنعاء تستبشعها النفوس الأبية، وتنفر منها الطباع السليمة الرفيعة، لما فيها من انتهاك الحرمات، وإفساد الفرش واختلاط الأنساب وتفكك الأسر ويسبب ميل الزوجة عن زوجها إلى الأخدان الخائنين في السر، والتقصير في حق الزوج وفي إصلاح بيتها وتربية أطفالها ورعايتها لمن استرعاها الله من أهل بيتها ونحو ذلك من الفساد، ومثل ذلك وأعظم يقع في حق الزوج متى وقع في تعاطي هذه الفاحشة النكراء، فلا جرم أن كانت عقوبة الزنا في هذه الشريعة أعظم من غيرها حيث شرع رجم الزاني أو الزانية مع الإحصان بالحجارة حتى الموت ليتم الزجر والقمع لتلك النفوس المريضة بالشهوة البهيمية، وخص المحصن بالرجم حيث إنه قد كفر النعمة وعدل عن الحلال وتعاطى الحرام برغم ما فيه من إفساد فرش الناس وتعريض زوجته للعهر والميل إلى فعل هذه الفاحشة مع غيره ونحو ذلك من المفاصد بخلاف غير المحصن فإن عقوبته الجلد والتغريب وهي دون الرجم بالحجارة لخفة ذنبه بالنسبة للمحصن لقوة الغلظة والشهوة التي قد تغلبه فيضعف إيمانه وتصديقه بالوعيد عن قمعها فتعرض نفسه الأمانة بالسوء فيقع في هذه الجريمة، وهكذا أيضا عاقب الذين يرمون المحصنات عقوبة شديدة في الدنيا والآخرة فقال عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥) وهذه عقوبات عاجلة وقال تعالى عن عقوبتهم الآجلة ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(٤) سورة المائدة: آية ٣٣.

(٥) سورة النور: آية ٤.

(١) سورة البقرة: آية ١٧٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٥.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧٩.

يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم^(١) الآيات، ذلك أن مقتر في هذا الفعل والذنب الكبير يقدحون في الأنساب وينتهكون الأعراض البريئة، وينشرون لأولئك الأبرياء سمعة سيئة تقشعر منها الجلود، وتنكس منها الرؤوس حياءً وخجلاً مع بعدهم عن تلك الجرائم المزعومة ونزاهتهم عن اقترافها فكانت عقوبة من قذفهم بها الجلد ورد الشهادة، والحكم عليهم بالفسق الذي هو الخروج عن العدالة والطاعة مع استحقاقهم للعن وهو الطرد، والإبعاد عن رحمة الله، وللعذاب العظيم في الدار الآخرة، ومن ذلك مما يكون زاجراً لهم عن الكذب والافتراء على المؤمنين والاستهتار والهتك للأعراض فيأمن الناس ويطمئنون في حياتهم وتتم بينهم المودة والإخاء وتزول العداوة والشحناء، مما يكون سبباً للتقاطع والتدابير والتهاجر الذي جاء الشرع بالنهي عنه وتحريمه، لما يترتب عليه من المفساد العظيمة من اختلال الأمن، ووقوع الفتن، وتسلب الأعداء ونحو ذلك، وكما شرع تعالى عقوبةً وحداً مانعاً لمن تعاطى شرب المسكرات بعد أن أوضح تحريم الخمر وما فيها من المفساد فقرنها بالأنصاب وهي الأصنام وأخبر بأنها رجس أي نجس وقدر حسّي أو معنوي وأنها من عمل الشيطان فهو الذي يزينها ويدعو إلى الوقوع فيها ويوقع بسببها بين المسلمين العداوة والبغضاء ويصدّهم بتعاطيها عن ذكر الله وعن الصلاة رغم ما فيها من إزالة العقل الذي هو ميزة الإنسان وفضيلته، فبزواله يكون دون البهائم والسفهاء، ويتصرف تصرف المجانين والمعتوهين، فيهلك الحرث والنسل ويضر بالأنفس والأموال والأهل والأولاد، وما إلى ذلك من المفساد الكبرى التي تنتج عن تعاطي المسكرات والمخدرات، ولا يقتصر ضررها على الجاني وحده؛ بل يلحق بالمجتمع أجمع إلا ما شاء الله، فلا جرم أن جرمه جاء في السنة جلد شارب الخمر بما يزجره كأربعين جلدة أو ثمانين إن لم ينزجر بالأربعين بل ثبت في السنة الأمر بقتله إذا أدمن ذلك ولم ينزجر بتكرار الجلد؛ ففي هذه العقوبات والوعيد الشديد عليها ما يكفي في الكف عنها وما يحفظ للعقول سلامتها ويبقى بذلك على سلامة التفكير؛ يكفل للأمة أمنها ورخاءها وسلامتها من الأضرار والشورر الوخيمة والإبقاء على عقول البشر لتصرف تفكيرها فيما يعود عليها وعلى غيرها بكامل الخير والمصلحة وذلك أكبر مثال على كمال هذه الشريعة وتضمنها لمصالح العباد، وهكذا أيضاً شرع عقوبة السارق بقوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾^(٢) ذلك أن السارق يهتك الأستار والحروز ويكسر الأقفال ويتسلق الحيطان، ويصعب التحصن والتحرز من شره وضرره، فكانت عقوبته قطع يده، تلك اليد الآثمة المتعدية الظالمة حيث أن جنايته تتوقف على العمل باليد غالباً فكان بقاء هذا العضو المعتدي مما ينشر البوء ويخل بالأمن والاطمئنان على الأموال المحترمة التي لها وقع في النفوس فأخذها عدواناً وظلماً مما يوقع الخوف والقلق في القلوب؛ فشرع إزالة هذا العضو الذي ينشر البوء والمرض العضال بين الناس، وكما اشتمل الشرع على هذه العقوبات والزواجر التي يحصل بتطبيقها كمال الأمن ورخاء العيش، فقد شرع عقوبات أخرى غير مقدرة بعدد أو نوع تسمى تعزيراً وتأديباً يعاقب بها من اقترف ذنباً أو ارتكب كبيرة لا حد فيها، مما يتعلق بالأديان أو الأبدان أو الأموال، وتتفاوت تلك العقوبات بتفاوت الجرائم والمجرمين، وكل هذه العقوبات - مقدرة أو غير مقدرة - تتضح فيها حكمة

الشرع الشريف ويتضح لكل ذي قلب سليم أنه دين سماوي جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وإلغاء المفاسد وتقليلها. كما أنه أيضاً تعرض لشرح الآداب والأخلاق الرفيعة وحثَّ على الاتصاف بالسمات الشريفة التي فطرت القلوب على استحسانها وحب من تخلق بها والنفور من أضدادها ومقت أهلها وبغضهم والبعد عنهم، فإن الله تعالى فطر الخلق على استحسان السمات الطيبة التي وجدت أو بعضها قبل الإسلام كأغلب خصال الفطرة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة وانتقاص الماء... إلخ»^(١) وفي الباب أحاديث كثيرة بهذا المعنى وهذه الخصال يستسيغها العقل السليم ويشهد بملاءمتها له لذلك يحافظ العقلاء على تطبيقها، وإنما يخالفها من انتكست فطرته فاستقبح الحسن واستلذ القبيح فلا عبرة بهذا الضرب من الناس ولو كثروا أو زعموا المعرفة والإدراك، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وبالجملة فإن احتواء الشريعة الإسلامية على هذه الخصال يفيد كمالها وانتظامها لكل ما يستحسن عقلاً وشرعاً ولكل ما تتوقف عليه الحياة الطيبة في هذه الدار، كما أن الشريعة لم تتوقف على تبين العبادات والقربات كما قد يظن ذلك الكثير من الناس؛ بل تعرضت لإيضاح الأمور العادية وأوضحت الصفة الكاملة لاستعمالها، ففي باب الأكل تعرض الشرع لبيان الهيئة المحمودة في ذلك؛ فنهى عن الاتكاء حال الأكل كفعل من يريد الامتلاء من الطعام، وشرع الأكل باليمين تفاؤلاً باليمن والبركة، وبالغ في النهي عن الأكل بالشمال تشبهاً بالشیطان وأعوانه، كما جاء بالأكل بثلاثة أصابع إلا لضرورة. فإن الأكل باليد كلها قد يوجب ترادف الطعام على مجراه فربما أفسده وسبب الموت فجأة، وذلك من باب رعاية نعم الله وإحسان جوارها، وهكذا شرع أن يأكل كل فرد مما يليه ونهى عن الأكل من وسط الصحفة، وعلل ذلك بأن البركة تنزل وسط الطعام، كما أمر بالاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه وحده بعد الشبع، ونحو ذلك مما فيه تذكير بعظيم منة الله في تيسيره لأسباب ذلك، ومما يسبب مع الصدق حلول البركة فيه حالاً ومالاً، وهكذا جاء بآداب الشرب المتضمنة لجَمِّ فوائده والمستحسنة عقلاً وشرعاً، فنهى عن التنفس في الشراب والنفخ في الطعام كراهة أن يصحبه شيء من الريق فيقذره على غيره، وأمر بالتنفس ثلاثاً خارج الإناء، وبمص الشرب دون العب بقوة، وعلل ذلك بأنه أهنأ وأبرأ وتعرض للأواني التي لا يباح استعمالها في الأكل والشرب كآنية الذهب والفضة وتوعد متعاطيها أشد الوعيد لما فيها من الفخر والخيلاء والإسراف وكسر قلوب الفقراء، وهكذا شرع للأمة آداب التخلي^(٢) وإن كانت مما يحتشم من ذكره، ومن الأشياء التي تلزم الإنسان بحكم العادة ولكن لها آداب وأحكام تدخل بها في عموم الشريعة الإسلامية، وكذا آداب اللبس والخلع فجاء باستحباب لبس البياض من الثياب وأباح غيرها إلا ما استثنى، وأحب لباس القمص ولبس غيره من الأزر والأردية والسراريات ونحوها، ونهى عن الخيلاء والإسبال في الثياب وبالغ في الوعيد على أهل الخيلاء والترفع على الناس، وأحب أن يرى الله آثار نعمته على عبده في اللباس ونحوه، ونهى عن المشي في نعل واحدة، وحث على التيامن في لباس الثوب والنعل ونحو ذلك وحرّم أنواعاً من اللباس كالحرير لما فيها من الإسراف والتبذير، وتعجل الطيبات في الدنيا،

(١) أخرجه مسلم ربك (٢٦١) في الطهارة: باب خصال
(٢) أي الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة من التبول ونحوه.

الفطرة عن عائشة رضي الله عنها .

وكذلك تدخل الشرع في آداب النوم والجلوس والمشي والسفر وفصل أحكام ذلك وأدخل الجميع في جملة الشريعة الإسلامية. هذا وإن مما يدل على كمال هذه الشريعة اشتغالها على الحث والترغيب في الأخلاق الشريفة والآداب الرفيعة وتنفيذه عن أضدادها. فقد رغب في الصدق مع الله ومع عباده فهو السمة العالية التي يحبها كل عاقل من مسلم وكافر ويثق الجمهور بأهل الصدق ويحسنون معاملتهم ومعاشرتهم، كما جاء بالزجر عن الكذب وجعله من سمات أهل النفاق الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. وهكذا أمر بالصبر على أداء العبادات وإن ثقلت على بعض النفوس، وأفاد أن الأجر على قدر النَّصَب، ونهى عن إعطاء النفس ما تميل إليه بمجرد طبعها من الإخلاد إلى الراحة والكسل، وحثَّ على قمع النفوس عن تعاطي المحرمات شرعاً وبين أن صبر النفس عن ميلها إليها فيه ثواب كبير لمن جاهد نفسه وصبر عن تناول ما حرم ربه عليه، كما أن ربنا تعالى جعلنا في هذه الدار عُرْضة للأخطار والمصائب ابتلاء منه واختباراً ليظهر من يرضى ويسلم ويصبر على أقدار الله، ممن يجزع وتضعف نفسه عن تحمل الصبر والاحتساب، فوعد الصابرين بالأجر الكبير والثواب العظيم بخلاف من جزع ودعى بالويل والثبور فإنه مع فوات أجر المصيبة لا يفيد جزعه ولا يرد فائتاً. وهكذا جاء الإسلام أيضاً بإباحة مُتَع الدنيا مع الاقتصاد في ذلك، مما يدل على كماله وتدخله في شؤون الناس ومعاملاتهم لبيان الهيئة الرفيعة من أنواع اكتساب المال وإنفاقه، فحثَّ على الحرف والصناعات واكتساب المال من وجوهه المباحة للتعفف عن سؤال الناس، وإظهار الفاقة أمامهم مما يضعف النفس ويسقط الهيبة. كما حثَّ على القناعة بما رزق الله العبد من ضيق أو سعة، وأخبر بأن الغنى غنى النفس وأن ما أخذ بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذ بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، وأوضح أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ونحو ذلك من الشيم الرفيعة التي تبعث في النفوس الرضى عن الله في ما وهبه للعبد من سعة أو ضيق ويكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده فلا يستكثر ما قدمه لأخيه وأعطاه لفقر، أو محتاج أو وهبه لابن سبيل، أو في سبيل الله حيث أيقن بأن ربه يحب منه ذلك وأنه يخلفه له بخير منه عاجلاً أو آجلاً، فهان عليه ما بذله الله من صدقة وصلة رحم وقرى ضيف ووقف على جهة بر ونحو ذلك من صفات أهل الكرم والسخاء، والجود بما في اليد ثقة بالله طواعية له بل أنه قديواسي بما في يده أو يؤثر على نفسه كما وصف الله تعالى حال الذين ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، ولكنه جاء مع ذلك بالحث على الاقتصاد وشدد في ذم المسرفين وأهل التبذير وإفساد المال وإنفاقه في الباطل أو فيما لا فائدة فيه وأخبر بأن المبذرين إخوان الشياطين، والمراد البذل في الحرام أو ما هو ضار قاذح في الدين أو التعدي في الإنفاق في الشهوات والملذات فوق الحاجة مما يتضمن الإتلاف للأموال في غير طريقها. وهكذا جاء الشرع الشريف مرغباً في حسن المعاملة مع الأفراد والجماعات؛ فحثَّ على اختيار الرفقاء الصالحين، ونفر من قرناء السوء، ورغب في زيارة الإخوان والأنس بهم، وأخبر بأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من صاحب العزلة؛ فإن الأول ينفع الناس ويرشدهم ويتحمل ما ناله في ذات الله من إساءة وضرر، كما أن القصد الأعلى من هذا الاختلاط نصحتهم عموماً، وهدايتهم إلى سبل السلام، ودلالتهم على كل ما يعود عليهم بمصلحة في دينهم ودنياهم، وإعانتهم على البر والتقوى، وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن المنكرات شرعاً وعرفاً، وهكذا جاءت الشريعة بالشفقة على الخلق ورحمتهم وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى

رأسه اشتكى كله وشبهوا بالبنيان يشد بعضه بعضا، وكان من آثار ذلك قضاء حوائجهم وتفريج كرباتهم، وكل ما فيه جلب الراحة والطمأنينة لهم، مع الحرص على إزالة الوهن، والتقاطع الذي يحصل بينهم لتصفو القلوب وتحصل لهم راحة النفس في هذه الحياة، وحث على بر من له زيادة حق لقراءة أو جوار فأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وصدق المؤاخاة والشفقة على الأولاد وما يتبع هذا البر والإحسان من نفقة ومواساة وإيثار وطاعة وخدمة بقدر المستطاع، كما حذر أشد التحذير من الإساءة إلى الوالدين وعصيانهما، وقطيعة الرحم، بل أخبر بأن من وصل الرحم وصله الله ومن قطعها قطعها الله، كما أمر الإنسان بالصبر على ما يناله من جفوة أقاربه وإساءتهم، وأخبر بأن حق الأبوين لا يسقط ببقائهما على الكفر، فأمر بصحبتهما بالمعروف، ولكنه نهى عن التنزل على رغبتهما في الرجوع إلى الشرك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وجعل العقوق في المرتبة التي تلي الشرك بالله وألحق به من يتسبب إلى جلب الشتم والمسبة لأبويه، وأخبر بأن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وحذر من التهاجر بين المسلمين لأجل الحظوظ الدنيوية، لما ينتج عنه من تفرق الكلمة واختلال الأمن وفقدان الثقة بين المسلمين.

و لما كان هناك غالبا أفراد في المجتمع يستحقون زيادة عطف وإحسان لأسباب خاصة. فقد جاءت الشريعة الإسلامية بالحث على برهم ورحمتهم والشفقة عليهم، وحثهم أنفسهم على الرضا والاستسلام بما قدره الله لهم، وما أصابهم من نقص وعاهة كما ورد في الحديث «إن أهل الجنة كل ضعيف متضعف»^(١) وأن عامة من دخل الجنة هم المساكين وقال ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»^(٢) وحث على كفالة اليتيم ورعايته والرفق به وعلى مراعاة المساكين والمستضعفين والتفطن لأحوالهم والصدقة عليهم وتخفيف ما يجدونه من ضيق وشدة وهم وحزن وجعل الجزاء من جنس العمل في ذلك. ففي الحديث «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»^(٣)، ونهى الله نبيه ﷺ عن طرد المستضعفين من مجلسه وأمره بالصبر معهم في قوله «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»^(٤)، ولما رأى بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - أن له فضلا على من دونه قال له النبي ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»^(٥)، وكل هذه الخصال من شعائر الإسلام.

ومما يدل على كمال الإسلام واشتماله على كل مصلحة وخير ونفع للأفراد والجماعات، أن الشرع الشريف حث على الشيم والأخلاق النبيلة التي تعترف العقول بمعرفتها وتشهد بحسن آثارها وما لها من الأثر الفعال في النفوس مما يوافق مقصد الشريعة، وكما أمر بالتواضع ولين الجانب سيما مع الضعفاء والخاملين والمساكين، ونهى عن ضد ذلك من التكبر والتجبر واحتقار المسلمين وازدراءهم، ومن الإعجاب بالنفس والترفع على الخلق، وفسر الكبر

(١) رواه البخاري ريم (٤٩٢١٨) في تفسير سورة ن والقلم، ومسلم رقم (٢٨٥٣) في صفة الجنة -: باب النار يدخلها الجبارون عن حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٢) كما رواه مسلم في صفة الجنة باب النار يدخلها الجبارون عن أبي سعيد ورواه البخاري ومسلم في الرقاق عن أسامة بن زيد.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة - باب فضل الضعفاء عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ومسلم في البر والصلة والترمذي في الحدود عن ابن عمر.

(٥) سورة الكهف: آية ٢٨.

(٦) رواه البخاري في الجهاد - باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلا ... إلخ.

بأنه بطل الحق وغمط الناس، فإن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، كما في قوله تعالى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، وكما في الحديث «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغَى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢) بل أخبر بأن التواضع لعباد الله سبب للرفعة وعلو الرتبة عند الله وعند الناس وقال «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»^(٣). فهذه إشارة إلى كمال الشريعة وإلى ما اشتملت عليه من الخصال الحميدة والأخلاق والآداب الرفيعة التي تسمو بمن تخلق بها إلى أرفع المنازل وما حذرت منه هذه الشريعة من الأخلاق الدنيئة الذميمة، التي تدنس الأعراض وتوقع في العار والشنار، ولقد أكثر العلماء قديماً وحديثاً من الكتابة حول خصال الإيمان والدين التي تجب أو تستحب، وسموها آداباً شرعية وخصالاً دينية، وأدخلوا في ذلك العادات القديمة التي أقرها الإسلام أو أثنى على فعلها كالجود والكرم والصدق والوفاء والبر والصلة والسلام والتحية والتراحم والتعاطف والتزاور ونحوها، وقد توسع في ذلك ابن عقيل الحنبلي في كتابه المسمى بالفنون، حيث جمع فيه ما أدركه من فنون العلم بجميع أنواعه ولكنه لم يوجد كاملاً، وقد ألف الكثير من الأئمة في الأخلاق والآداب، وشعب الإيمان، وهكذا كتبوا في الخصال المذمومة وكبائر الذنوب وأنواع المعاصي والمحرمات، وكل من ألف في ذلك فإنها كتب ما يناسبه ولكل مجتهد نصيب. ولا شك أن شريعة الإسلام قد تضمنت كل ما تمس إليه الحاجة البشرية، وأن جميع الخصال التي تهدف إليها يعرف عند التأمل ملاءمتها ومناسبتها، ولذلك يحتاج إلى الاستقصاء في جمع أنواع العبادة، وما ورد الأمر به من القربات، وما نهى عنه مما يخالف أهداف تلك الخصال، وذكر أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، مع ذكر معانيها ونتائجها مما يفيد المسلم وطالب الحق علماً وسعة اطلاع.

هذا وقد اطلعت على مقدمة هذه الموسوعة الكبيرة التي احتوت على ما أمكن جمعه من أنواع القربات وأسماء العبادات، وأسماء ما يضادها وما ينهى عنه، وأعجبت كثيراً حيث استوعبت ما أمكن إيراد من خصال الخير والأخلاق والقربات، وكل ما ورد له ذكر في الشريعة من تلك الأسماء التي استعملها الرسول ﷺ بوحي من ربه، وبين المراد بها وفائدها وأثرها، وحيث رتبت على الحروف ترتيباً محكماً لا خلل فيه ولا خطأ، وبدئاً بالتعريف لكل خصلة بذكر معناها اللغوي والشرعي، وبيان ما يدخل فيها شرعاً وما تتضمنه، ثم بذكر الآيات التي وردت فيها لفظاً أو معنى، وكذا ذكر الأحاديث المرفوعة مع تخريجها بدقة واستيفاء، مع ذكر مواضع تلك الأدلة ومراجعها، وهكذا ذكر الآثار الواردة في مدح تلك الخصلة وفائدة العمل بها أو تركها ومضرة المخالفة فيها وما إلى ذلك مما يجده القارئ في هذه الموسوعة، ولا شك أنه جهد كبير وعمل واسع، يستدعي بذل الوسع، والحرص على الاستقصاء، ولذلك استغرق الجمع والبذل والكتابة فيها وقتاً طويلاً رغم توافر الجهود، وكثرة الباحثين، حتى أنتجوا هذا العمل المشكور الذي يرجى نفعه إن شاء الله للمبتدئ والمحتذي، والراعي والرعية، والفرد والمجتمع، حيث يجد الطالب فيها بغيته، ويعثر على مطلبه بأيسر الوسائل وفي أسرع وقت، فيستفيد في نفسه ويتزود من العلم النافع ما يكون زاداً له في دار الدنيا ويوم

(١) سورة الحجرات : آية ١٣.

(٢) رواه مسلم في الجنة باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) رواه أبو داود في الأدب باب في كراهة الرفعة في الأمور عن أنس.

المعاد، فإن بَحَثَ عن العبادات والقربات وجد طلبته، فيجد في باب العقيدة الإيمان والإخلاص والاعتصام والإسلام والإحسان والتوكل والخوف ونحوها، ويجد أنواع التوحيد كالدعاء والرجاء والاستعانة والإنابة، والتوبة والاستغفار وما أشبهها، ويجد من الأعمال الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وما يلحق بها، وهكذا ما يتعلق بحقوق العباد كالبر والصلة والصدق والسخاء وأشباه ذلك، وهكذا إن أَحَبَّ معرفة المحرمات والمنكرات كالشرك والقتل والزنا والسرقة والكذب والربا والإلحاد والبغي والكبر وما يلحق بها، فجزى الله من فكر في جمع هذه الموسوعة أحسن الجزاء، فلقد أراحوا طالب الاستفادة من كثرة العناية في البحث والتنقيب في أمهات كتب الأحكام، وكتب الفضائل وكتب الآداب، وكتب الأوامر والنواهي والزواجر ونحوها، وأحالوا القارئ إلى الأماكن التي توسع مؤلفوها في تلك المسائل بإيراد النقول والآثار والعلل والأحكام والمنافع والمضار، فنوصي طالب العلم بالحرص على اقتناء مثل هذه الموسوعة الطيبة المباركة، ومراجعتها عند الحاجة والاستفادة منها، وشغل أوقات الفراغ بمطالعة ما تيسر من الأبواب والمسائل، فهي مرجع أساسي للدعاة والمصلحين، والخطباء والوعاظ، والمفتين والقضاة واللغويين وغيرهم، ولا شك أن الفائدة كبيرة حيث يتزود هؤلاء من الآيات القرآنية التي تتعلق بذلك الموضوع ولو بالمعنى، وكذا الأحاديث النبوية والآثار والنقول والفوائد فالمطالع لتلك المسائل لا بد أن يكون لديه حصيلة وافرة يظهر أثرها في أعماله وأقواله، ويتعدى ذلك إلى ولده وجليسه، ويزداد دائما علما وفهما، ومع ذلك فلا بد من حسن المقصد، وإصلاح النية في القراءة والاستفادة والإرشاد والتعليم، فبذلك تكون الجهود مفيدة والأعمال مقبولة، هذا وإني أشكر الأخ عبدالرحمن بن محمد بن ملح الذي أتاح الفرصة لكتابة هذه الصفات في مقدمة هذه الموسوعة مع اعترافي بالقصور والضعف في الإنتاج، ولكن ذلك من باب المساهمة في فعل الخير، وأعرف باطلاعي على هذه الموسوعة ما وصل إليه الأخ عبدالرحمن ومن ساعده في إبراز هذا الجهد، وما هو متمتع به من الفكر والإدراك، والغوص على درر المعاني وإبراز المعلومات، ومعالجة الأمور التي تمس إليها الحاجة، ويحصل منها النفع العام للصغير والكبير والذكر والأنثى، في زمن كثرت فيه العوائق وانشغل الأبوان بشؤون الحياة، وأكب الجهال والعوام على الملهيّات والخرافات واستصعبوا نيل المعلومات، وإخراج المسائل، وتحصيل الفوائد، ولعل في شغلهم بهذه العلوم النافعة ما يكون منها لهم إلى الرجوع قليلا حتى يعرفوا ويتصوروا ما بذله الأولون من جهود جبارة في رصد العلوم وتدوينها، وتقريبها وتهذيبها وأنهم حازوا قصب السبق، فيقبلوا على العلم والاستفادة، ويتبعوا العلم بالعمل الصالح، فهو الثمرة والنتيجة المطلوبة، والله الموفق والمعين، ونسأله سبحانه أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويرزقنا جميعا الفهم عنه والإخلاص له في الأقوال والأعمال، ونسأله أن يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ويصلح أحوال المسلمين، ويولي عليهم خيارهم، ويعز الإسلام والمسلمين، ويذل الكفر وأهله إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٠/١١/١٤١٦هـ.

كتبه

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقا

المنهج العلمي للموسوعة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، أرسله على حين فترة من الرسل وحاجة من البشر ، بعثه بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة والبراهين الساطعة . أيقظ به العقول من سباتها وصرف به النفوس عن أهوائها فكان ﷺ بإذن ربه مصدر خير ومبعث نور وشمس هداية ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ودعا إلى الحق ، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه حيّا وميتّا أفضل صلاة وأطيب سلام وأزكى بركة . نشر الله محبته ورفع في أعلى عليين درجته وصلى ورضي على آله وأصحابه وورثه هديه من العلماء العاملين والدعاة المصلحين الذين فقهوا دين الله وأدركوا مراميه وفهموا مقاصده واستنوا بهديه وعملوا بأحكامه ودعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلوا أنفسهم ونفيسهم فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد .

أما بعد فإن أولى ما اختاره الإنسان لنفسه بعد إيمانه بربه أن يكون مرتاضا بمكارم الأخلاق ومحاسنها متجافيا عن سيئها متنزها عن سفاسفها آخذا في جميع الأحوال بالفضائل ، عادلا في كل أفعاله عن طرق الرذائل ، يجعل مقصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعاييب ، ويصرف همته إلى اقتناء كل خيم^(١) كريم خالص من الشوائب ، يبذل جهده في تجنب كل خصلة رديئة ويستفرغ وسعه في إطراح كل خلة ذميمة ، فيحوز الكمال بتهديب خلائقه ، ويكتسي حلل الجمال بدمائة شأئله .

وإن المبتديء في تطلب هذه المرتبة والراغب في بلوغ هذه المنزلة ربما خفيت عليه الخلال المستحسنة التي يعنيه تحريها وقد تلبس عليه الصفات المستقبحة التي غرضه توقيها .

ويزداد الغموض ويغلظ اللبس في هذه العصور المتأخرة التي تعيش الأمم في أغلبها حياة مادية مظلمة يتنكرون فيها للدين ويسخرون من القيم ، ابتلوا فيه بما ينهك الروح ويرهق الأعصاب ، إيغال في التقدم المادي مظلم وحضارة عند العقلاء حمقاء ، انفلت فيها زمام العقل والخلق ، وطغت في جنباتها ظلمات الإلحاد وإنطفا في

أرجائها نور الإيمان وانحسرت القيم الخلقية فلم يُعَدَّ لها في موازين الناس حساب .

من المؤسف حقاً أن تكون هذه هي الصورة في أغلب مجتمعات اليوم وشعوبه إلا ما رحم ربنا .

ولكن الإسلام دين الله الحق - قرآنًا وسنة - قد جعل لمهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس واكتساب

الفضائل مكانة كبرى ورتبة عليا ومقاماً سامياً .

ولابد في هذه المقدمة من وقفات مع الإسلام ونبي الإسلام ، نوضح فيها هذا المقصد من خلال النظرة

القرآنية ومقاصد البعثة المحمدية .

إن من حق قرآننا علينا أن نتدبر معانيه وأن نفهم مقاصده . ففيه ما يدل على هذه الأخلاق وتهذيبها ويرشد

إلى الآداب الإسلامية واكتسابها ، فهي أمور محكمة وآداب لكل خير جامعة .

ذلك أن القرآن هو كتاب الله الخالد ومعجزة رسوله الباقية ونعمته السابغة وحجته الدامغة وهو ينبوع الحكمة

وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر وبحر لا يدرك غوره ولا تنفذ درره ولا تفنى عجائبه ولا تقلع عن الغيث المدرار

سحائبه ولا تنقضي آياته . أنزله ربنا لنقرأه تدبراً ونتأمله تبصراً ونسعد به تذكراً ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه

ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه وكلما ازدادت البصائر فيه تأملاً زادها هداية وتبصراً . أنزله ربنا وصرّفه وعداً ووعداً

وأمرًا ونهيًا وترغيبًا وترهيبًا وتشريعًا وسياسة وحكمة وعلمًا ورحمة وعدلاً واشتمل على أصول العقائد وقواعد الأحكام

ودعائم الأخلاق .

وهذه إشارة لنموذج قرآني من حشد الوصايا الأخلاقية حثًا على المحمود وتنفيرًا من المذموم انتظمت في سورة

واحدة وسياق متتابع ، يقول سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر

أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ * ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ﴾ * وءات ذا القربى

حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ * وإما

تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ * ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل

البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ * إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ * ولا تقتلوا أولادكم

خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ * ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ * ولا

تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ *

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ * وأوفوا الكيل إذا

كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر

والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا * ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴿١﴾ .

إن المتأمل في هذه الآيات القرآنية يدرك غاية القرآن وتركيزه الشديد على بناء الشخصية الإسلامية على أساس من القيم الأخلاقية الرفيعة تركيزاً يبتديء من تصحيح العقائد وتطهير النفوس من درن الشرك والجاهلية والتحلي بالعلم الصحيح وتنظيم العلاقات الاجتماعية والهداية إلى السداد من القول والعمل .

وهكذا يتجلى القرآن العظيم إرشاداً لمحجة وتبصره لعبارة وتذكراً لمعرفة وإرشاداً من غي وبصيرة من عمى وحثاً على تقى وحياة للقلب وغذاءً للروح ودواءً وشفاءً وعصمة ونجاة .

نعم إن إدامة النظر وإطالة التدبر في هذا القرآن العظيم تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذاقهما وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما ومآل أهلها وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه . هذا عن القرآن .

أما نبي الإسلام محمد ﷺ فمن المعلوم كل العلم أن أي حياة فاضلة لا بد لها من رائد كما أن الأحياء الأتقياء لا غنى لهم عن أسوة وقائد . ومن غير رسول الله ﷺ رائد للحياة وقائد للأحياء . إنه الموجه إلى الخير الهادي إلى البر الداعي إلى أكرم طريق ، هو الرائد الأمين والمبلغ المبين والبشير النذير والسراج المنير . جاء بالدين الحق والإسلام الخاتم والشرعية الخالدة لتنظيم أمر الحياة والأحياء إنتظاماً كاملاً ولضبط العلاقات فيما بينهم أفراداً وجماعات وحكاماً ومحكومين .

إن الدين الذي جاء به محمد ﷺ عقيدة إستعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن إحساس العزة من غير كبر وعلو الهمة من غير بطر وروح الثقة في غير إغترار وشعوراً بالأمان والإطمئنان من غير تواكل . دين يُشعر أتباعه بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم وتبعة الأمانة في الاستقامة على الحق والدعوة إليه في المشارق والمغارب .

لقد جاء محمد ﷺ بدين الإسلام من عند ربه الذي رضي وأكمل وأتم به نعمته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٢) .

وبكماله وتماه بلغه ﷺ إلى الأحمر والأسود وعلمه أصحابه لتلاميذهم من التابعين في أرجاء الأرض وأقطارها قرناً فقرناً فتلقيه العربي والأعجمي والقريب والبعيد فعرفوا فيه نظام الحياة المتكامل الجامع بين العدل والرحمة والحق

(١) الإسراء: ٢٣ - ٣٩ .

(٢) المائدة: ٣ .

والقوة وعلى دعائمه قامت أعظم قواعد الأخلاق ومبادئ السلوك وفي مثل هذا يقول رسول الله ﷺ: «إنما بُعثت لأتم صالح الأخلاق»^(١).

إن الناظر والدارس لهذا الدين يرى ذلك الفيض الغامر وذلك التراث الثر من التربية والتعليم والإصلاح والتقويم في توجيه واسع وشامل في القول والعمل والفرد والجماعة حتى تحقق وصف الله في نبيه ﷺ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴿١﴾.

ولقد طال الأمر على المسلمين واشتد مكر أعدائهم فصار كثير منهم إلى حال من المسخ والتشويه والضعف والهوان في رقعة من الأرض ذات إتساع جغرافي وتكاثر سكاني لكنهم يجهلون كثيراً من حقائق الإسلام عقيدة وشريعة وأدباً وخلقاً، يعيشون في أمشاج من الأساطير والخيالات وضعوها لأنفسهم بجهالاتهم وبعدهم عن المصدر الحق، وقد يكون منها ما وضعه أعداؤهم من أجل المباحدة بينهم وبين الصحيح من الدين. فاستمروا الذل والضعف واستوبؤوا^(٢) العزة والقوة ونزلوا عن كرامتهم وشموخهم الإسلامي ليقتاتوا بقوت متعفن من بقايا موائد الحضارة المادية. وهذا ما حاق بهم في أوطانهم فاستعبدتهم أمم لا تذكر معهم في حساب العد والإحصاء.

وعند النظر والمقارنة بين الواقع والمثال، الواقع المر والمثال النموذجي الأسوة ولأن المصدر باق محفوظ بحفظ الله. فقد توجهت همة بعض الأفاضل والغيورين للقيام بعمل لعله أن يكون من اللبنيات الصالحة التي يقوم عليها إعادة بناء الأمة على المنهج الحق. أنه عمل موسوعي في منهج الأخلاق نظراً وتطبيقاً. عمل يرجى أن تنعكس نتائجه على ذوي الشأن من المربين والمتعلمين.

عمل حرص على أن يتخذ من رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، فالمسلمون منذ أن أظلمهم الله بظل الإسلام قد شغفوا بجمع كل ما يتصل بنبيهم محمد ﷺ ومكارم أخلاقه وشماله ثم مضوا يتدارسون هذا الذي جمعه يفيضون فيه ويستلهمون منه.

وإن متغيرات الحياة وطرائق التفكير المستجدة وتكاثر قنوات المعلومات والمعارف جعلت من العزيز والشاق أن يستفيد طالب الاستفادة من خضم هذا الفيض الغامر. ليخرج بدراسة جامعة منظمة تتسق مع متغيرات العصر وتنظياته العلمية.

إنها دراسة موسوعية قصد بها توثيق الاتصال بحياة الحبيب المصطفى محمد ﷺ في سيرته والإرتباط بمكارم أخلاقه وتجميع له الشتات المتوزع به شتى المصادر والمراجع.

إنها دراسة شاملة تعني ببيان محمود الأخلاق ومذمومها وتشحذ الهمم نحو سمو أخلاقي يحقق أهدافاً سامية

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) استوبؤوا العزة والقوة: أي عدوهما من الوباء.

لعل فيها طريقاً للنجاة ومسلكاً للخير والسعادة والعزة والقوة .

عمل علمي يرجى أن يسترشد به من كانت له همّة سنية تسمو به إلى مباراة أهل الفضل ونفس أبية تنبو به عن مساواة أهل الدناءة والنقص .

وإليك - رعاك الله - بعض التفاصيل عن إعداد هذا العمل وطريقة الاستفادة منه ومراحل تنفيذه هذه الموسوعة:

الموسوعة مصطلح معاصر تعني في مدلولها جمع المعارف في فن معين أو فنون متعددة طبقاً لخطة إخراج خاصة تنتج حصيلة ضخمة من المعلومات بين يدي القاريء متخصصاً أو غير متخصص على حد سواء .
وتمت خطتان غالبتان لتحرير الموسوعات :

إحداهما : تبني أسلوب تجميع المعلومات حسب وحدة الموضوع بحيث تقدم عرضاً شاملاً له .
ثانيهما : إعتناء الحروف الأبجدية ومن ثمّ تتوزع المعلومات في خانات وجداول ترتبط بنوع الحرف من غير رعاية لوحدة الموضوع الشاملة .

وقد جرت هذه الموسوعة على الطريق الثاني تمثيلاً مع طبيعة غرض هذه الموسوعة وتحقيقاً لغاية الواضعين . وهي في ذات الوقت أسهل لتناول القاريء لمواد الموسوعة .

وفكرة الموسوعة وليدة نظر الأخ عبد الرحمن بن محمد بن ملوح ، الذي عرضها عليّ فتبلورت الفكرة لدينا، وأخذت مسارها العلمي دراسة وبحثاً ومنهاجاً وتم وضع المنهج الذي سوف يوصف لك لاحقاً .

ولقد مرت الموسوعة في فترة إعدادها بمراحل من الطروحات وألوان من الصعوبات جلبت معها اختلافات في وجهات النظر بين الباحثين في بعض مواقع الدراسة وأساليب البحث ومعالم المنهج ولكنها مع الزمن والخبرة انصهرت لتتبلور في المنهج الذي تراه بين يديك . وما كان ذلك إلا بتوفيق الله أولاً ثم الإخلاص وحسن القصد مع إجماع الإرادة على تقديم عمل نافع للناس وخادم للعلم بإذن الله .

لا سيما إذا علمت - حفظك الله - أن مادتها قد تم استعراضها وقراءتها قراءة متأنية وأعيدت صياغتها أكثر من مرة أمام المشرف والباحثين مجتمعين في جلسات منتظمة . ولا يدّعي مُعدوها أنها بلغت الكمال ، فالكمال لله وحده ولكنها لقيت من العناية والدقة والمتابعة ما يؤكد إحترام القاريء والباحث ، وإن عملاً واسعاً مثل هذا لا يسلم من نقد ونظر بل من اختلاف الأنظار فيه ولكن المرجو ممن يجد خطأً أو يستحسن فكرة أن يبعث بها مشكوراً مثاباً لعله يمكن تلافي النقص ومقاربة التسديد في طبقات قادمة ، ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا .

الغاية والهدف :

- الغاية المقصودة والهدف المتوخى من هذا العمل يتمثل في جملة من العناصر أهمها :
- ١ - الدلالة على معالي الأمور والإرشاد إلى كريم الأخلاق والتوجيه إلى صواب التقدير وحسن التدبير في بناء الإنسان وعمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف .
 - ٢ - الاستيعاب قدر الإمكان وحسب الطاقة لأصول الأخلاق ومبادئ المكارم بقصد التذكير والتأسي والمراجعة .
 - ٣ - إبراز لون من ألوان السيرة المحمدية وإظهار الجانب التطبيقي من خلال المأثور من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وجبلته .
 - ٤ - تقريب النصوص والمصادر للمهتمين من العلماء والدعاة والمربين لطريق المنهج الموسوعي حسب ما تقتضيه متطلبات العصر ومتغيراته .
 - ٥ - دعوة العقل الإنساني بعامة إلى ميادين الفكر الفسيحة في ظل الحقيقة الإسلامية الشاهدة من خلالها قيمها الأخلاقية وفضائلها .

أصول البناء في هذه الموسوعة علمًا ومنهجًا :

- استغرق العمل في هذه الموسوعة تسع سنين متواصلة وضمت بين صفحاتها وأعمدتها من الصفات ثلاثمائة وإحدى وستين صفة في محمود الأخلاق ومذمومها .
- ولقد كانت خطة العمل في هذه الموسوعة طموحة ودقيقة وهي ثمرة مجهودات متضافرة وعمل دؤوب تقبله الله بقبول حسن بمنه . واشتملت الخطة وأصول البناء على الخطوات التالية :
- أولاً : مقدمة عامة في الأخلاق : تعريفها - أنواعها - أهميتها في الحياة الإنسانية
- ثانيًا : العناية بإبراز علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبغيره .
- ثالثًا : إبراز الجوانب الأخلاقية في حياة الرسول ﷺ وقد استدعى ذلك الحديث بإختصار عن :
- أ - نبذه مختصرة في السيرة النبوية .
- ب - أفراد مبحث خاص في فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .
- رابعًا : إيراد الصفات المحمودة من الأخلاق وضدها من الصفات المذمومة ومحاولة الإستيعاب قدر الطاقة لأصول الألفاظ والمعاني حسبما اقتضتها طبيعة البحث وتوافرت فيه المعلومات ، وهذا العنصر هو المقصود الأعظم من هذه الموسوعة .

وقد سلك في كتابة الصفات وصياغتها الخطوات التالية :

- ١ - روعي في الصفات المحمودة والمذمومة ترتيبها على حروف المعجم .

٢ - استوعبت الموسوعة في كل صفة من صفاتها : التعريف اللغوي والاصطلاحي والنص القرآني، والحديث النبوي ، والآثار سواء ما ورد من ذلك باللفظ أو بالمعنى ، وما ورد من أقوال المفسرين ومأثور الحكم شعراً ونثراً مما يتعلق بالصفة وملخص لفوائد الصفات المحمودة ومضار المذمومة منها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر صفة «التقوى» مثلاً سوف ترى في مادتها : تعريفاً لغوياً حيث تم الرجوع إلى كتب اللغة المعتمدة في هذا الشأن مثل الصحاح للجوهري ، وتاج العروس للزبيدي ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والنهاية لابن أثير ، ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي ، فضلاً عن كتب المعاصرين ، وأما التعريف الاصطلاحي فيرجع فيه إلى كتب التعريفات مثل تعريفات الجرجاني والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي ، إضافة إلى ذلك كتب الشروح والأحكام والسلوك ، ثم بعد التعريف اللغوي الاصطلاحي أورد الباحثون نقولاً تبرز حقيقة التقوى وثمراتها في الدنيا والآخرة ثم تعقب ذلك كله:

- بالآيات القرآنية الواردة بلفظ التقوى .
- الأحاديث النبوية الواردة في التقوى لفظاً .
- الأحاديث النبوية الواردة في التقوى معنى .
- المثل التطبيقي من حياة الرسول ﷺ في التقوى .
- الآثار من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان والتي تحت على التقوى وتبشر بموعد الله للمتقين .

- فوائد التقوى.

هذا بالنسبة للصفات المحمودة ، أما الصفات المذمومة فتصنف وفق التصنيف الأول بإستثناء المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ .

٣ - روعي الإختصار والتركيز في التعريف اللغوي واشتقاقات الكلمة واستعمالاتها .

٤ - روعي عند التعريف لكل صفة ذكر مرادفات هذه الصفة في الهامش وما اشتملت عليه من مباحث - مثال ذلك: من الصفات المذمومة «صفة سوء المعاملة» ستجد في هامشها (المعاملة، سوء المعاشرة، سوء معاملة البهائم)».

٥ - ذكر في بعض الصفات بعد التعريف اللغوي نقول مهمة تزيد من تعريفها وتوضح المراد منها وتبين أقسامها وصلتها بغيرها من المواد .

٦ - وضع عناوين جانبية لبعض النقول .

٧ - نظراً لأن العمل موسوعي ومقصوده تقريب المادة للقارئ والباحث ، فقد حرص معدوا الموسوعة على إيراد النقول كاملة بنصها من مصادرها ولم يتصرفوا فيها إلا بقدر ما يحفظ الإنسجام وترابط المعنى .

- ٨ - استوعب معدو الموسوعة جميع الآيات القرآنية التي وردت بلفظ الصفة موضوع البحث ثم اكتفوا بإثبات الآيات التي تغطي جوانب الصفة وتناسب مع حجمها .
- ٩ - عزو الأحاديث إلى مصادرها من دواوين السنّة المشهورة فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأمره ظاهر ويكتفي به عن العزو إلى غيرهما ما لم يكن اللفظ المستشهد به عند غيرهما وما كان في غير الصحيحين أو أحدهما فقد اعتمد معدو الموسوعة تصحيحات ذوي الشأن والإختصاص من أهل الصنعة الحديثية ، علماً بأنه إذا نقل عن بعض أئمة أهل الصنعة الحديثية مثل الحافظ الهيثمي أو الحافظ المنذري قولهم في حديث رجاله ثقات أو رجاله رجال الصحيح فإن ذلك لا يعني بالضرورة الجزم بصحة الحديث .
- ١٠ - صنف الآيات القرآنية وفقاً للمعنى العام الذي تدرج فيه وذلك بالاعتماد على كتب الوجوه والنظائر من ناحية، وكتب التفسير من ناحية أخرى، وقد روعي في كل مجموعة على حدة تسلسل الآيات كما وردت في المصحف الشريف .
- ١١ - رتبت الأحاديث وفقاً للمنهج العلمي الذي يراعي الأحاديث الواردة باللفظ أولاً ثم الأحاديث الواردة بالمعنى ثانياً، وأخيراً الأحاديث الواردة في المثل التطبيقي .
- ١٢ - قد يرى القاري أن بعض ما أورد من الأحاديث باللفظ في دلالتها على المطلوب بُعد، غير أننا أوردناه حرصاً على الإستيفاء وإحتراماً لمشاركة القاري في الفهم .
- ١٣ - يذكر الحديث الطويل بتمامه عند أول وروده ثم يكتفي بإيراد الشاهد في المواطن الأخرى مع الإحالة إلى الموضوع الأول .
- ١٤ - الصفة إذا تكاثرت فيها النصوص وتشعبت فيها المعاني مما لا يُقبل علمياً ولا منهجياً - إستيعاب كل ما ورد فيها فإن الموسوعة اكتفت بإيراد حديث في كل فرع أو شعبة (كالطهارة) مثلاً، فإن من موضوعاتها وتفرعاتها «الاستنجاء - الوضوء - الحيض» مما استوعبته كتب الأحكام .
- ١٥ - يلاحظ في الاستدلال في النصوص اللفظية على الصفة أن تكون دالة على المراد مدحاً أو ذمّاً .
- ١٦ - أوردنا في كل صفة النصوص التي تفيد الترغيب والترهيب والثواب والعقاب والتي تظهر الفضائل وتنهى عن الرذائل .
- ١٧ - بعد ذكر الأحاديث التي وردت باللفظ والمعنى في الصفات المحمودة فقط عقبنا ذلك ببعض الأمثلة التطبيقية من حياة رسول الله ﷺ - إن وجدت - .
- ١٨ - بيّنا في الهوامش ما ورد في الحديث أو الأثر من الغريب .
- ١٩ - نقل جميع معلومات الموسوعة بأمانة ودقة حسب الطاقة ، ولم يتم التصرف إلا في أضيق الحدود .
- ٢٠ - روعي ترتيب الآثار حسب وفيات من نُسبت إليهم .

الخاتمة

وفي الختام وبعد أن استوى هذا العمل على سوقه ، لعلك سوف تجد نفسك قارئنا الكريم أمام صورة مشرقة تعكس أصالة ذلك التراث العظيم وتوضح في جلاء أن الشريعة الإسلامية حفلت بقيم خلقية عالية كان لها شأن بعيد وأثر حميد في تربية النفوس وإصلاحها وتقويم الأخلاق وتهذيبها .

لذا كان لزاماً على حملة شريعة الإسلام أن يدرسوا الحياة العالمية وأن يعدوا أنفسهم لهذه الدراسة الواسعة العميقة ليتعرفوا على مشكلاتها وأسبابها ، وما جد فيها ، وعليهم أن يقوموا بالتوجيه الصالح الرشيد بعرض مبادئ الإسلام عرضاً جذاباً ، وحمل رسالة الحق والخير وتأديتها إلى الناس كافة أداءاً رغبياً صالحاً ، يدفع دعوة الإسلام إلى الآفاق الرحبة ويبين سماحتها وسمو مقاصدها ، وهذا واجب كل مؤمن بعامه ، وواجب العلماء بخاصة ، فإذا نهض للقيام بهذا الواجب طائفة فقهاء الإسلام وشرائعه . ودارسوا الإسلام مطالبون أشد المطالبة بالقيام بعمل جاد قوي حتى تتاح الفرصة من جديد أما العقل الإسلامي الحائر لفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، يعم مشارق الأرض ومغاربها بروح سمح «حنيفي» يقدر الواقع ، ويقف معه وجهاً لوجه يعالجه ولا يتهرب منه .

وكان من أعظم واجبات المسلمين في هذا العصر أن تتضافر جهودهم على إعانة القائمين به حتى تتاح الفرصة لبلوغ أفكارهم غاياتها من قلوب الناس وعقولهم ، تجديراً لإبلاغ الدعوة وأداء لحق الوراثة في هذا التبليغ . ومرة أخرى فإن معدّي الموسوعة وهم يقدمون هذا العمل الحافل بالنقول لإخوانهم القراء ليدركوا الصعوبات التي تكتنف مثل هذه الأعمال العلمية الكبيرة ويؤمنون كل الإيمان بأن العصمة لله وحده ويرجون ويؤمنون أن يغتفر لهم القراء ما قد يقعون فيه من قصور أو هفوات غير مقصودة ويرحبون كل الترحيب بإبداء الملاحظات والتصويبات ، ومهما يكن من شيء فهم يؤملون بأنك ستجد في هذه الموسوعة الأخلاقية مرتبطة الحلقات متماسكة الأطراف ، ولعلها تغنيك في مراجعة هذا التراث العظيم ، كما يؤملون أيضاً بأن هذه الموسوعة الضخمة ستكون من العوامل الفعالة في تذكير المسلمين بما كان لهم من عظمة ومجد فتبعثهم على التمسك بهذا الدين العظيم «دين الإسلام» نصاً وروحاً وحتى تتوحد كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

سدد الله الخطى وبارك في الجهود وهدى إلى الصواب من القول والعلم والعمل وكفى بربك هادياً ونصيراً .
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

صالح بن عبدالله بن حميد

ثراء في الإيمان... وثروة في لغة القرآن

مقدمة اللجنة اللغوية

بقلم: أ. د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد

فإن أصدق تعبير عن هذه الموسوعة هو ما جاء في العنوان الذي اخترناه لهذا التقديم: ثراء، وثروة، فهي تتضمن ثراءً إيمانيًا بما تتضمنه من الآيات والأحاديث والآثار والأحكام الشرعية وآداب السلوك، وهي أيضا ثروة في لغة القرآن بما تتضمنه من شرح للمفردات اللغوية الواردة في عناوين الصفات، أو للكلمات الغريبة الواردة في متون الأحاديث، ذلك فضلا عن توضيح المعاني الاصطلاحية لألفاظ الصفات، والكشف عن الفروق الدقيقة بينها.

لقد جاءت مقدمات الصفات متضمنة بحوثًا لغوية موجزة تتعلق بأصول هذه الألفاظ وكيفية اشتقاقها، كما تضمنت وجوه استعمال اللفظ في القرآن الكريم اعتمادا على كتب الوجوه والنظائر من ناحية، وعلى كتب التفسير من ناحية أخرى، وهنا كان للجنة جهد بارز يتجلى في تصنيف الآيات القرآنية وفقا لما جاء في المصدرين معا (كتب التفسير، وكتب الوجوه والنظائر)^(١)، وفيما يتعلق بالتعريفات الاصطلاحية لم تكن المهمة سهلة كما قد يتصور للوهلة الأولى، ذلك أن كثيرا منها لم تتضمنه كتب الاصطلاحات المعروفة، وهنا كان الاعتماد على أقوال المفسرين وشرح الحديث واللغويين في استنباط المعنى الاصطلاحي الذي يبرز في هذه الموسوعة للمرة الأولى، هذا بالإضافة إلى التفرقة الدقيقة بين معاني المصطلحات التي قد يظن أنها مترادفة^(٢) أو متطابقة وهي - في الحقيقة - ليست كذلك مثل التدبر والتفكر والتأمل ونحوها، وبذلك أضافت الموسوعة إلى ما كتبه علماء الفروق^(٣) إضافات لا يمكن الاستغناء عنها لمن يريد الوقوف على حقائق معاني الأخلاق الإسلامية من ناحية، وعلى دقة اللغة العربية في التعبير من ناحية ثانية، وإذا كانت الأشياء إنما تتميز بأضدادها ويتضح معناها أكثر إذا اقترنت بنظائرها، فقد حرصنا في نهاية كل مقدمة لغوية على أن نشير إلى الصفات المتقاربة التي تدخل مع الصفة المتحدث عنها في نفس الإطار الدلالي وتشكل معها حقلًا لغويًا واحدًا^(٤) مما يساعد على الفهم الصحيح لكل صفة على حدة، كما أشرنا أيضا إلى الصفات التي تضاد هذه الصفة

(١) كتب الوجوه والنظائر كتب متخصصة في الكشف عن وجوه استعمال اللفظ القرآني في معان عديدة، وأقدم ما وصل إلينا منها كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ). وقد يحدث ذلك في لفظ دون آخر، وقد تتبعنا ما ورد من ذلك في المصادر الأصلية.

(٢) يراد بالترادف أن يطلق لفظان أو أكثر للدلالة على معنى واحد مثل: البر والقمح والحنطة، أو مثل السنة والعام والحول والحجة.

(٣) وذلك مثل أبي هلال العسكري في كتابه «الفروق اللغوية».

(٤) تعد نظرية الحقل اللغوي في الدراسات الدلالية من أحدث ما توصل إليه علم اللغة العام، انظر في هذه النظرية وكيفية تطبيقها على اللغة العربية، كتابنا: مدخل إلى علم اللغة الحديث ص ١٥٥ (ط. أولى).

صراحة أو ضمنا، مثال ذلك أن نذكر مع صفة الابتهاال صفات: الدعاء- الضراعة- الاستغاثة- الاستخارة- الاستعانة - الاستعاذة على أنها صفات متقاربة، ثم نذكر في ضد ذلك: الإعراض - الغفلة - اليأس - القنوط على أنها صفات مضادة^(١)، وقد رأينا إتماما للفائدة أن تتضمن الفهارس الفنية فهرسا خاصا لهذه الحقول الدلالية التي تدخل الصفات في أطرها، وأطلقنا عليه فهرس «الإحالات» نظرا لأنه يساعد قارئ الصفة بإحالاته إلى المواطن المشابهة أو المضادة.

إن الجهد اللغوي في هذه الموسوعة قد تضمن أيضا تفسير كثير من أي الذكر الحكيم، كما تناول تفسير الألفاظ والعبارات الغريبة التي وردت في الحديث الشريف، وقد رجعنا في ذلك إلى المتداول من كتب شرح الحديث مثل فتح الباري، وشرح الإمام النووي لصحيح مسلم، وكتب غريب الحديث وخاصة الأمهات منها، ونعني بذلك غريب الحديث لأبي عبيد (م ٢٢٤هـ)، وغريب الحديث لابن قتيبة (م ٢٧٦هـ)، وغريب الحديث للخطابي (م ٣٨٨هـ)، وأخيرا كنا نرجع إلى الكتب الجامعة في الغريب مثل الفائق في غريب الحديث للزمخشري والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير^(٢).

فصاحة الرسول ﷺ:

لقد كان حديثه ﷺ كما يقول الجاحظ: هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة الكلام، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ^(٣).

وقد جاء في صفة رسول الله ﷺ فيما ترويه أم معبد - أنه كان إذا «تكلم سما وعلاه البهاء.. حلو المنطق، فصل، لا نذر ولا هذر، كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن..»^(٤)، وقد لفتت فصاحته ﷺ أنظار من كانوا مضرب الأمثال في الفصاحة والبيان حتى قال قائلهم وقد سمع المصطفى ﷺ يجري حوارا مع بعض الصحابة: يا رسول الله ما أفصحك! ما رأينا الذي هو أعرب منك^(٥)، وقد فسّر العلماء ذلك بأنه ﷺ «لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق»^(٦).

(١) انظر على سبيل المثال ص ٢ من المجلد الثاني.

(٢) المراد بالغريب هنا تلك الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعملها.

(٣) البيان والتبيين ١٧/٢.

(٤) انظر حديث أم معبد كاملا في قسم الشماثل ص (٤١٦).

(٥) انظر هذا الحوار الذي نقله السيوطي عن البيهقي في المزهري ٣٥ / ١، ومعنى أعرب منك: أي أفصح منك من الإعراب، بمعنى الإنابة والفصاحة.

(٦) البيان والتبيين ١٧/٢.

وإذا كان الأمر كذلك فإن لسائل أن يسأل: لماذا كثر الغريب في حديث رسول الله ﷺ؟

لقد كان «غريب الحديث» بمعنى: الألفاظ أو العبارات الغامضة الواردة في متون الأحاديث من أسبق علوم الحديث ظهوراً، وكان السابق إلى التأليف فيه هو الإمام: أبو عبيدة معمر بن المثنى (م ٢١٦ هـ)، ثم توالى التأليف فيه إلى يوم الناس هذا، وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن خلاصته: كيف يكثر الغريب في حديث رسول الله ﷺ؟ مع أن الغرابة عيب يخل بالفصاحة؟ ومع ذلك فقد ثبت أن الرسول الكريم ﷺ هو أفصح العرب قاطبة.

إن مناقشة تفصيلية لهذه القضية لا يتسع لها هذا المجال^(١) وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن الغرابة أمر نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان، كما يختلف باختلاف المتحدث إليهم، فما يكون غريباً عند قوم قد لا يكون غريباً عند آخرين، وما يكون غريباً في عصر قد يكون هو - لا غيره - أفصح الفصح في عصر آخر، وإذا طبقنا هذه المعايير على الحديث النبوي الشريف - وقد طبقناها فعلاً - على ما أورده أبو عبيد في كتابه «غريب الحديث» لكانت النتيجة «أنه ﷺ لم يستعمل إلا الواضح المألوف في بيئته، وإلا ما كان مفهوماً لمن يُتَوَجَّه إليهم بالخطاب، وأن هذا لا ينبغي بالطبع أن بعض الألفاظ الحديثة قد قل استعمالها فيما بعد نتيجة لتطور اللغة، كما اتضح أن بعض هذه الألفاظ كانت غامضة المعنى عند غير من يخاطب بها^(٢)، وأن ذلك كان هو السبب في إطلاق وصف الغرابة عليها^(٣).

لقد تكفل الإمام الخطابي - رحمه الله تعالى - ببيان السبب الذي من أجله كثر غريب حديث رسول الله ﷺ فقال: لقد بُعث ﷺ مبلغاً ومعلماً، فهو لا يزال في كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروف وينهى عن منكر، ويشرع في حادثة، ويفتي في نازلة، والأسماع إليه مصغية، والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية، وقد تختلف عنها عباراته، ويتكرر فيها بيانه، ليكون أوقع للسامعين، وأقرب إلى فهم من كان منهم أقل فقهاً وأقرب بالإسلام عهداً، وأولو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يراعونها (كلها) سمعاً، ويستوفونها حفظاً، ويؤدونها على اختلاف جهاتها، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدة ألفاظ، تحتها معنى واحد، وذلك كقوله: «الولد للفراس، وللعاهر الحجر»^(٤)، وفي رواية أخرى: «وللعاهر الإثلب»^(٥). قال الخطابي: وقد مر بمسامعي ولم يثبت عندي: «وللعاهر الكثكث».

(١) لقد أفردنا هذه المسألة بالتأليف في كتابنا: الغرابة في الحديث النبوي، دراسة لغوية تحليلية في ضوء ما أورده أبو عبيد في «غريب الحديث» ط. أولى القاهرة ١٤٠٧ هـ.

(٢) مثال ذلك أن يخاطب أحد المغاربة بعض أهله بلهجته المحلية، ويكون أحد السعوديين بجانبه، وفي هذه الحالة يكون كلام المغربي مفهوماً لبني جلدته، وغريباً بالنسبة للسعودي، وإذا انتقلنا من الشاهد إلى الغائب اتضح أن الرسول ﷺ كان يخاطب أبناء القبائل بلهجتهم، وحوله من الصحابة الكرام من لا يفهم هذه اللهجة، وهنا يكون كلامه ﷺ مفهوماً للمخاطبين غريباً بالنسبة للصحابي الذي لا يعرف تفاصيل هذه اللهجة.

(٣) الغرابة في الحديث النبوي للدكتور عبدالفتاح البركاوي ص ٢٠٩ (بتصرف).

(٤) أخرجه البخاري ٤/٤، ومسلم ١٠٨٠/٢.

(٥) رواه أحمد ١٧٩/٢، ٢٠٧ من حديث ابن عمر.

وقد يتكلم ﷺ في بعض النوازل وبحضرته أخلاط من الناس، قبائلهم شتى، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، أو يعتمد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤديه بلغته، ويعبر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طرقه عدة الفاظ مختلفة موجبها شيء واحد، وهذا كما يروى: «أن رجلاً كان يهدي إلى رسول الله كل عام راوية خمر، فأهداها عام حرمت، فقال: إنها حرمت، فاستأذنه في بيعها، فقال له: إن الذي حرم شربها حرم بيعها، قال: فما أصنع بها؟ قال: سُنَّها في البطحاء، قال: فَسَنَّها»، وجاء في رواية أخرى: «فَهَتَّها»، وفي رواية أخرى: «فَبَعَّها»^(١). والمعنى واحد^(٢). ويعني هذا أن اختلاف الرواة قد يكون هو المسئول عن غرابة كثير من الألفاظ.

وقال الخطابي أيضاً: وبلغني أن أبا عبيد القاسم بن سلام مكث في تصنيف كتابه (غريب الحديث) أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث، والناس إذ ذاك متوافرون، والروضة أنف، والحوض ملآن، ثم قد غادر الكثير منه لمن بعده، ثم سعى له أبو محمد (ابن قتيبة) سعي الجواد إذا استولى على الأمد^(٣)، فأسأ^(٤) القدر الذي جمعناه في كتابنا هذا، وقد بقي من وراء ذلك أحاديث ذات عدد لم أتيسر لتفسيرها، تركتها ليفتحها الله على من يشاء من عباده، ولكل وقت قوم، ولكل نشء علم. قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/ ٢١)^(٥).

ولله در الخطابي فقد كان الناس فعلاً إذ ذاك (أي في الصدر الأول) يفقهون حديث رسول الله ﷺ، ثم خلف من بعدهم خلفٌ يحتاجون إلى الكتب الطوال التي تشرح غريب حديث رسول الله ﷺ، ومن هنا كان حرصنا على أن تتضمن الموسوعة بياناً لهذه الألفاظ وشرحاً لها مما يغني القارئ عن الرجوع إلى كتب الغريب وشروح الحديث. لقد كانت طموحات الشيخ عبدالرحمن بن ملوح أوسع من أن تقف عند ما أنجزته اللجتان الأولى والثانية، فكان يشير علينا بين الحين والآخر لإضافة هذه الصفة أو تلك، وكان يتضح عقب إنجاز هذه الصفات مدى الفائدة العظيمة والخير العميم من إضافتها، وكان من ذلك صفات: الإغاثة - الإنذار - الإنصاف - التبليغ - تكريم الإنسان - التوحيد - عيادة المريض - الفضل - كفالة اليتيم - اللين - معرفة الله عز وجل - الكلم الطيب - المسارعة في الخيرات - النظر والتبصر... ونحو ذلك من الصفات المأمور بها.

(١) الفائق ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥ وجاء فيه: الثلاثة - يعني السَّنُّ، والهَتُّ، والبَعُّ - في معنى الصب، إلا أن السن في سهولة، والهت في تتابع، والبع في سعة وكثرة، وروى بالثناء، أي قذفها، من ثع يثع، إذا قاء.

(٢) غريب الحديث للخطابي ١/ ١٥.

(٣) يشير إلى قول النابغة: «سبق الجواد إذا استولى على الأمد»، وأبو محمد هو ابن قتيبة. وجاء في اللسان (أمد): أمدُ الخيل في الرهان: مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها التي تسبق إليه.

(٤) أسأ: أي أبقي شيئاً قليلاً.

(٥) غريب الحديث للخطابي ١/ ١٥ - ١٦.

ومن الصفات المنهي عنها : الإحباط - إفشاء السر - الانتقام - التكاثر - التنازع - التناجش - التنصل من المسئولية - التهاون - التبذير - الحقد - الرشوة - الرياء - السخرية - الطغيان - العتو - الغرور - الغش - الغي والإغواء - الفتنة - المجاهرة بالمعصية.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يشير إلى إضافات مهمة في صفات عديدة يصعب إحصاؤها نذكر منها: المساواة، وقد أُضيفت إلى صفة العدل، والإحسان (بالزواج)، وقد أُضيفت إلى صفة حفظ الفرج لأن الزواج من وسائل ذلك، والعُجب، الذي أُضيف إلى الكبر، والمصابرة، التي أُضيفت إلى الصبر، والشدة التي أُضيفت إلى القوة. وفيما يتعلق بالفهارس فقد بذلت اللجنة جهداً ندعوا الله أن يكون موفقاً ومباركاً فيه، وستحدث عنه وعن كيفية استخدام هذه الفهارس في مقدمة المجلد الثاني عشر بإذن الله تعالى.

لقد اجتهدنا ما وسعنا الجهد في إبراز تلك الصفات في صورة أقرب ما تكون إلى الكمال البشري، أما الكمال المطلق فهو لله تعالى، نسأله - عز وجل - أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

ولا يسعني في ختام هذه الكلمة إلا أن أتقدم بالشكر وافرًا وجزيلاً لأخي وصديقي الشيخ عبدالرحمن بن محمد ابن ملوح على تلك الجهود المباركة التي بذلها في نشر هذه الموسوعة (ولم تكن تلك الجهود مادية فحسب وإنما كانت أيضاً جهوداً معنوية وعلمية، حثيثة ورائعة، وأن ونتوجه إلى المولى عز وجل بأن يجزيه على ذلك خير الجزاء وأن يجعله من أصحاب الحياة الطيبة في الدنيا ومن أهل «نصرة النعيم» في الآخرة إنه سبحانه أكرم المسئولين وأجزل المعطين^(١). سبحانه ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي

مكة المكرمة في العشرين من ربيع الأول ١٤١٨ هـ

(١) لما كان الجزاء من جنس العمل، فإننا ندعو الله - عز وجل - للشيخ والذين ساهموا معه بأن يكونوا من أصحاب نصرة النعيم.

الحياة والنفس الإنسانية

بقلم : عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح
مؤسس ومدير عام دار الوسيلة للنشر والتوزيع

تمهيد :

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد:
فقد اشتملت هذه الموسوعة على مكارم أخلاق الرسول ﷺ التي تشكل فيما بينها (منظومة أخلاق متكاملة) تصلح بها أمور الإنسان في الدنيا والآخرة، ولما كان الأخذ بمعالي الأخلاق ومكارمها يستلزم -ضرورة- التخلي عن مذمومها من حيث كونها ضدان لا يجتمعان، كان لابد من الحرص على إبراز هذه الأخلاق المذمومة التي نهى عنها الشارع الحكيم، وبذلك تتوفر لقارئ هذه الموسوعة قاعدة علمية شاملة تضم الأمرين جميعاً: المأمور به والمنهي عنه في القرآن والسنة، وهنا يتحقق شرط الإلزام الخلقي الأساسي، ألا وهو المعرفة النافية للجهالة^(١).
وبهذه المعرفة تتحدد المعايير الضرورية التي تضبط حركة السلوك الإنساني في هذه الحياة، بيد أن هذه المعرفة وحدها غير كافية، إذ ينبغي على المؤمن أن يربط القول بالعمل، والمعرفة بالسلوك، بحيث لا يكون القول مجرد كلام لا جدوى منه، وتكون المعرفة مجرد إطار نظري لا فائدة منها، ذلك أن اقتران القول بالعمل والمعرفة بالممارسة قاعدة إسلامية أقرها القرآن الكريم في قول الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

وقد كانت حياة الرسول ﷺ تجسيدا عمليا لكل ما كان يدعو الناس إليه من مكارم الأخلاق وحميد الصفات فكان ﷺ مثالا يحتذى في عدله ورحمته وبره، وكانت بعثته ﷺ في جوهرها لإتمام هذا الجانب التطبيقي المتمثل في تتميم مكارم الأخلاق، قولاً وفعلًا، دعوة وممارسة، يقول عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣).
و «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وربط عليه الصلاة والسلام بين كمال الإيمان وحسن الخلق، فقال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٤). ونبه عليه الصلاة والسلام على أهمية سلوك الخير وفعله فقال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»^(٥).

تكليف الإنسان وابتلاؤه :

لقد كرم الله الإنسان، فخلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وفضله على كثير ممن خلق، وأعطاه نعمة العقل، وزوده بنور الفطرة، وجعل خلقته قابلة للتكليف، إن فعل الخير أثيب، وإن فعل الشر عوقب،

(١) انظر شروط الإلزام الخلقي وخاصة ما يتعلق بالمعرفة في «النظرية الخلقية عند ابن تيمية» ص ١٣٦ وانظر أيضا ص ١٠٠ وما بعدها من هذه الموسوعة.

(٢) انظر صفة حسن الخلق، حديث رقم (٨).

(٣) الصف/ ٢ - ٣.

(٤) انظر صفة حسن الخلق، حديث رقم (١٥).

(٥) انظر صفة حسن الخلق، حديث رقم (٣).

وهذا هو مقتضى حمل الأمانة التي قبلها الإنسان وأبت السماوات والأرض أن يحملنها، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١).

لقد جعل الله للإنسان هذه الحياة الدنيا داراً أولى يحيا فيها ويعمرها، ليستعين بذلك على عبادة ربه طاعة ومحبة وإخلاصاً، ثم ابتلاه بالتكاليف (بالأوامر والنواهي) ليمحصه رحمة منه وفضلاً، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «ابتلاء الخلق بالأوامر والنواهي، رحمة لهم وحمية، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، ومن رحمته: أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا بها ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافهم، وأماهم ليحييهم»^(٢).

قد يظن بعض الناس أن ابتلاء الإنسان بالسراء هو إكرام له لا اختبار طاعة^(٣)، ويرى الابتلاء بالضراء هو انتقام هوان أو إهانة، وقد نعى القرآن الكريم على هذا الصنف من الناس ذلك الاعتقاد الباطل ونفاه نفياً حاسماً، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾^(٤). وقد صحح القرآن الكريم هذا الفهم السيء في الآيات التي تتلو ذلك مباشرة، وأعاد توجيه الأفهام إلى الممارسات الخاطئة الناتجة عن هذا الفهم السيء لحكمة الابتلاء، وهذه الممارسة الخاطئة هي عدم إكرام اليتيم وعدم الحظ على إطعام المسكين والاستئثار بالمال ولمه وجمعه دون الإنفاق كما أمر الله، فقال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(٥). والأمثال في هذا المجال كثيرة في القرآن مثل ما جاء في سور الشمس والبلد والضحى. والحقيقة هي أن الله - عز وجل - يبتلي العباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فتصير المنحة والمحنة جميعاً ابتلاءً، فالمنحة تقتضي الشكر والمنحة تقتضي الصبر، يقول الله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٦). إن هذا الإنسان المكرم لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٧)، ويقول عز من قائل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٨)، ومن ثم فهو محاسب على ما قدمت يده، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٩)، وقد أخبرنا المصطفى ﷺ عن حدود هذه المسؤولية ومجالاتها عندما قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١٠).

(١) الأحزاب/ ٧٢. (٢) إغاثة اللهفان (١٧٢/٢) وما بعدها (بتصرف).

(٣) فلسفة التربية الإسلامية، ص ١٧٢ (بتصرف).

(٤) الفجر/ ١٥ - ١٦. (٥) الفجر/ ١٧ - ٢٠. (٦) الأنبياء/ ٣٥.

(٧) المؤمنون/ ١١٥. (٨) القيامة/ ٣٦. (٩) الزلزلة/ ٧ - ٨.

(١٠) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٦/٤)، وقال: رواه الترمذي، وهو حسن صحيح.

العلاقة بين الحياة والنفس الإنسانية :

إذا كانت علاقة الإنسان بخالقه هي العبادة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وعلاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٢)، فإن علاقة الإنسان بالحياة هي علاقة ابتلاء وتمحيص، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٣). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: أن الله - عز وجل - خلق الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء^(٤). أما موضوع هذا الابتلاء فهو حسن العمل الذي لخصه الرسول الكريم ﷺ، في تفسيره للآية بأنه: الورع عن محارم الله والإسراع في طاعته^(٥). وتدخل فيه مكارم الأخلاق بأوسع معانيها [انظر الكشف التوضيحي من (١) - (٤) و (٤أ) و (٤ب)]

بين الابتلاء وحسن الخلق :

إن هذا الابتلاء الذي يعني الاختبار والتمحيص هو المحك الأساسي الذي يجسد الصراع الأزلي بين قوى الخير والشر في النفس الإنسانية، فالنفس المطمئنة ألهمت التقوى والطاعة، والنفس الأمارة بالسوء ألهمت الشر والفجور، ذلك أن النفس المطمئنة تأمر بالخير وتحض عليه، والنفس الأمارة بالسوء تأمر بالشر وتحض عليه، يساعدها في ذلك شيطان مريد يستغل ضعف الإنسان ويزين له فتن الشبهات والشهوات، وبين الاثنين توجد النفس اللوامة التي تشكل صهام الوقاية وتقوم بعملية الموازنة والتصحيح، إذ تلوم على فعل المعاصي من ناحية، وعلى عدم الاستكثار من فعل الخيرات من ناحية ثانية. [انظر الكشف التوضيحي من (١٠) إلى (١٣أ)، وكذلك انظر خريطة الابتلاء والنفس الإنسانية بعد صفحة (ع ب)].

الأخلاق الكريمة والعبادة :

إن الأخلاق الفاضلة من نحو أعمال القلب والعقل والجوارح واللسان مثل صدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والرفق والرأفة، والدعاء، والذكر، وتلاوة القرآن، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، كلها داخلة في مفهوم العبادة، وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة لله

(٣) الملك/ ٢.

(٢) إبراهيم/ ٣٢ - ٣٣.

(١) الذاريات/ ٥٦.

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٧).

(٥) السابق، الصفحة نفسها (بتصرف).

والمرضية له^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢). وبها أرسل الله جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٣)، والدين كله داخل في العبادة التي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له^(٤)، ومن هنا تكون فضائل الأخلاق ومكارمها داخلية في إطار الدين وركنا أساسيا من أركانه.

إن هذه الأخلاق الإيمانية - كما أطلق عليها ابن تيمية - هي وجه من الوجوه التي يتفاضل فيها الناس فيما يتعلق بزيادة الإيمان ونقصه، يقول - رحمه الله تعالى - : من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشيته الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء، والكبر والعجب، والرحمة للخلق والنصح لهم، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية^(٥)، ومصدق هذا قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»^(٦). [انظر الكشاف التوضيحي (١٤أ)].

الإيمان ومكارم الأخلاق :

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ما خلاصته : «إذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأنه لا بد فيه من شيئين: الأول تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته وهذا هو التوحيد، والآخر عمل القلب وهو التوكل على الله وحده ونحو ذلك من حب الله ورسوله، وحب ما يحب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، كانت أعمال القلب من الحب والإخلاص والخشية والتوكل ونحوها داخلية في الإيمان بهذا المعنى، وكانت الأخلاق الكريمة داخلية فيه أيضًا، وأما البدن فلا يمكن أن يتخلى عن مراد القلب لأنه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(٧).

إن الإيمان بذلك هو مناط تكوين القيم الخلقية والاجتماعية ونحوها، وهو أيضًا مصدر الإلزام الخلقي، لأنه هو المسيطر على كل غرائز الإنسان وشهواته، والمتحكم في أحاسيسه ودوافعه [انظر الكشاف التوضيحي (٥ - ٩)].

العبادة ونور الفطرة :

لقد كان من مظاهر تكريم الإنسان أن زوده الله تعالى بنور الفطرة التي يستطيع بها أن يعرف ربه، ويستدل بها على صراطه المستقيم وذلك من التدبر في آلائه ونعمه، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

(١) الفتاوى (١٤٩/١٠ - ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) المؤمنون/٢٣.

(٣) الذاريات/٥٦.

(٤) الفتاوى (١٥٢/١٠). وانظر صفة «العبادة».

(٥) انظر الأخلاق الإيمانية في مواطنها من هذه الموسوعة.

(٦) بتصرف واختصار عن الفتاوى ٧ (٥٦٤)، وانظر الحديث رقم ٣٥ في هذه الصفة.

(٧) البخاري - الفتح (٥٢/١)، ومسلم (٢٤٢٦) واللفظ له، وانظر الحديث بتمامه في صفة الصلاح حديث رقم ١٣.

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)، والفطرة: هي الخلق والهيئة التي في نفس الطفل، وهي مُعَدَّة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الحنيف، وهو الذي على الاستعداد له فطر البشر، ولكن تعرضهم العوارض^(٢)، وقيل: المعنى هو أن الله سبحانه خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وتلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق^(٣).

ويقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: لقد فطر الله عباده على محبته وعبادته، فإذا تركت هذه الفطرة بلا فساد، كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده^(٤).

إن فساد الفطرة أمر محتمل ووارد سواء أكان من البيئة المحيطة بالإنسان كما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٥). أو من إغواء الشيطان ووسوسته، وفي هذه الحالة اقتضت رحمة الله تعالى بالإنسان أن يرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين ويحدث صراع عنيف بين الشيطان وما يدعو إليه من ناحية وبين الرسل وما يدعون إليه من التزام الصراط المستقيم من ناحية أخرى بين الفجور والتقوى [انظر الكشف التوضيحي (د٤) و(٤ج)]. وسنوضح هذا فيما يلي:

إغواء الشيطان :

بعد أن خلق الله آدم أمر الملائكة بالسجود له، ولكن إبليس أبى واستكبر وخالف أمر ربه، ولم يسجد لآدم حسداً وكبراً، وبعد أن حلت عليه اللعنة وطُرد من رحمة الله تواعد آدم وذريته بأن يضلهم ويفتنهم ويقعد لهم على صراط الله المستقيم، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٦)، وقد أقسم بعزة الله تعالى أن يغوي جميع بني آدم إلا المخلصين، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٧). لقد حدد الشيطان الرجيم هدفه وهو إغواء بني آدم وصددهم عن صراط الله المستقيم وصرفهم إلى طرق أخرى يضيع فيها سعيهم وتضل أعمالهم ويكون مصيرهم نار جهنم وبئس المصير.

إرسال الرسل :

وقد كان من تمام رحمة الله تعالى أن بعث رسله مبشرين ومنذرين [انظر الكشف التوضيحي (٣)] معهم الكتاب والميزان ليعتدل أمر الناس ويستبينوا طريق الله تعالى من طريق الشيطان، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٨)، وكانت دعوتهم جميعاً إلى «صراط الله المستقيم»، يقول الله تعالى

(١) الروم/ ٣٠. (٢) تفسير القرطبي (٢٩/١٤). (٣) السابق، الصفحة نفسها. (٤) الفتاوى (١٧٥/١٠) بتصرف.

(٥) البخاري - الفتح (١٣٨٥/٣). (٦) الأعراف/ ١٦ - ١٧. (٧) ص/ ٨٢ - ٨٣. (٨) الحديد/ ٢٥.

على لسان هود عليه السلام: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)، ثم جاء النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعت إليه الرسل من التزام هذا الصراط، ووصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٢).

إذن فإن الثبات على الصراط المستقيم هو محور الصراع بين الخير والشر، بين ما تدعو إليه الرسل وما يسعى إليه الشيطان الرجيم، فما هذا الصراط؟

الصراط المستقيم :

كما سبق أن ذكرنا فإن هذا «الصراط المستقيم» هو دعوة الرسل جميعاً، وهو الهدف الذي يسعى إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم عليه فيصدهم عنه، وذكرنا أيضاً أن الله - عز وجل - على صراط مستقيم، ومعنى كون الله تعالى على صراط مستقيم أنه سبحانه على طريق مستقيم في قضائه وقدره وأمره ونهيه، يهدي من يشاء إليه بفضله ورحمته، ويصرف عنه من يشاء بعدله وحكمته^(٣).

لقد صور رسول الله ﷺ التزام الصراط المستقيم والخروج عنه، أي ذلك الصراع بين طاعة الرحمن وطاعة الشيطان فيما يرويه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤). فالسبيل المستقيم أو الصراط المستقيم هو ما تدعوه له الرسل. وتهدي الناس إليه، أما السبل الأخرى التي ينحرف إليها البعض فليست إلا سبلاً شيطانية نشأت بعد أن قعد لهم إبليس على هذا «صراط الله المستقيم».

أما دعوته ﷺ إلى هذا الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهي - كما يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى: كل علم أو عمل أو حقيقة، أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته، فهو من الصراط المستقيم وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال. فما ثمَّ خروج عن هذه الطرق الثلاث: طريق الرسول ﷺ وما جاء به، وطريق أهل الغضب (المغضوب عليهم)، وهي طريق من عرف الحق وعانده. وطريق أهل الضلال: وهي طريق من أضله الله عنه. ولهذا قال عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - «الصراط المستقيم: هو الإسلام» وقال عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - «هو القرآن» وفيه حديث مرفوع في الترمذي وغيره، وقال سهل بن عبدالله «طريق السنة والجماعة» وقال بكر بن عبدالله المزني «طريق رسول الله ﷺ». ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علماً وعملاً وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم^(٥).

(٣) إغاثة اللهفان ص ٢٢٠.

(٢) الشورى/ ٥٢ - ٥٣.

(١) هود/ ٦.

(٥) مدارج السالكين (١/ ٨).

(٤) الأنعام/ ١٥٣.

إيضاح وبيان
إن الأهداف الخاصة بترابط الصفات الإيمانية المحمودة، والصفات المذمومة المضادة لها، في هذه الموسوعة استندت وضع شرح منهجي متسلسل الخطوات، يتسم بالتدرج على شكل بياني، يوضح علاقة وتداخل هذه الصفات مع بعضها البعض، ويظهر ترابطها على نحو يتسم بالتكامل. وقد وُضع هذا الشكل المتسلسل لتبسيط الشرح وتيسير الفهم لمجموعة هذه العلاقات التي تشكل منظومة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أمر به أو نهى عنه في الكتاب والسنة. لكل صفة في الاطر رقمها التسلسلي في الموسوعة لتيسير الرجوع إلى تفاصيلها. م: تعني الصفة مكر

منطقة الرأس

رقم (١) يشير إلى موقع منطقة الرأس في الشكل وهي أن غاية النظام الأخلاقي هو توحيد الله عز وجل ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران ١٨) وعبادته وحده سبحانه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات ٥٦).

رقم (٢) خلق السماوات والأرض وما بينهما، الملائكة، خلق الإنسان والموت والحياة للإبتلاء ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير x الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (المالك ١-٢) أي أنه سبحانه - أوجد الخلائق من العدم، وخلق الموت للبعث والجزاء، والحياة للإبتلاء . وأيكم أحسن عملاً أي أكثركم للموت ذكراً وأحسن استعداداً. تفسير القرطبي.

رقم (٣) وكان من رحمته - عز وجل - بالإنسان أن أنزل الوحي وبعث الأنبياء وأرسل الرسل، ثم أرسل محمد ﷺ خاتم الأنبياء للناس جميعاً بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل وتمتعاً لمكارم الأخلاق.

رقم (٤) يمثل موقع الدعوة و يوضح أهميتها التي هي محور رسالة الأنبياء والرسل، ويتلقى الإنسان هذه الدعوة بواسطة السمع والبصر والفؤاد وتنقسم هذه الدعوة إلى قسمين:

رقم (٤أ) وهو الأمر بفعل الخير الواجب منه والمستحب وما يتبعه من ترغيب بالثواب واكتساب الحسنات والسعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

رقم (٤ب) وتتضمن النهي عن فعل الشر (الباطل) وهو الحرم والمموم بالترهيب بالعقاب بالحد الشرعي في الدنيا وعقاب القبر وعذاب النار في الآخرة.

منطقة الرئتين

ويوضح الرسم البياني في (منطقة الرئتين) أن الله عز وجل خلق النفس الإنسانية وألهمها فجورها وتقواها. **رقم (٤ج)** يوضح الشكل على الجهة اليمنى باللون الأخضر موقع التقوى وحسن النية وإرادة الخير التي تشكل أسس العبادة. وتنقسم أعمال العبادة في الشكل إلى ثلاثة أجزاء: (عمل القلب)، (عمل الجوارح)، (عمل اللسان) ولكل جزء إطار يجسد علاقة الإنسان (مع الله) (مع نفسه)، (مع الغير) دون فيه الصفات الخلقية التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها.

رقم (٤د) وكذلك هو الحال في الفجور وأعماله التي تنطوي تحت لواء سوء النية وإرادة الشر المبينة في الجهة اليسرى في إطار بالون الأحمر حيث تم إجراء نفس التقسيم لأعمال الإنسان (عمل القلب)، (عمل الجوارح) (عمل اللسان) وعلاقات أعمال الإنسان المذكورة (مع الله)، (مع النفس)، (مع الغير).

وهذه التقسيمات الموضحة في الاطاريح الأخضر والأحمر (منطقة الرئتين) هي بمثابة كشف توضيحي لموضوعات الموسوعة وتشكل في مجموعها منظومة أخلاق ربانية المصدر متكاملة الأبعاد للأخذ بمعالي الأخلاق ومكارمها والتخلي عن مذمومها من أجل أن تصلح أمور الإنسان في الدنيا والآخرة. فهي أساس خريطة الحياة والنفس الإنسانية ومقابلة دليل للإنسان إلى الصراط المستقيم.

منطقة القلب

رقم (٥) فإن تلقى الإنسان هذه الدعوة وحفظها ووعاها كان عليه أن يعمل عقله بواسطة التفكير والتأمل والتدبر والبصر والانتباه فإن هو تمكن من هذه المعلومات واستوعبها تكونت عنده المعرفة والحكمة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ (البقرة ٢٦٩).

رقم (٦) فإن شرح الله صدره وهذه اختار الخير وأخذ القرار الصحيح بالامتثال لأمر الله تعالى وانتهى عن فعل الشر ودخل مرحلة الالتزام بتعاليم الإسلام.

رقم (٧) يشير إلى مرحلة الدخول في دين الإسلام بمعناه العام وهو الاستسلام لأمر الله تعالى والخضوع له، وأداء أركانه مما يغير من سلوكه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما ينفسم﴾ (الرعد ١١).

فينتغير الفجور وما يصحبه من قلق إلى تقوى وطمأنينة وسكينة فيصبح مسلماً بعقله وقلبه وجوارحه.

رقم (٨) وعندما يداوم الإنسان على الامتثال لأركان الإسلام يزداد إيمانا وترداد عنده القدرة على تكون واستيعاب القيم الفكرية والروحية والجمالية والمادية والاجتماعية والوجدانية وتتكون عنده الشخصية المسلمة المؤمنة التي تمكّنه من السيطرة على الغرائز والشهوات والنزعات والأحاسيس والدوافع الفطرية وكلما زاد إيمانه زاد تقواه وحسن خلقه (انظر صفة الإيمان) وحسن عمله . وهي مرحلة الإحسان في الأقوال والأفعال والقدرة على المراقبة

رقم (٩) الذاتية والخارجية بمراقبة نفسه ومحاسبتها ومجاهدتها فيكون لديه الالتزام الخلقي والسلوكي تجاه أخيه الإنسان ويحسن عبادة الله عز وجل خوفاً من عذابه ورجاء لرضوانه وفضله.

منطقة الحجاب الحاجز

رقم (١٠أ) هي منطقة الابتلاء والاختبار كما أنها هي مرحلة التدريب الخيرة والتطبيق والتجربة بما عرفه الإنسان وحفظه، وتشغل تجربة الابتلاء موقع المركز أو قطب الرحي في مجمل العلاقات الإنسانية، إذ تنمو بها قوى النفس والعقل ويتم عن طريقها شحذ الفكر وصقل الطبع وتهذيب العاطفة ووضعها مماثل لوضع الحجاب الحاجز في أهميته للجهاز التنفسي إذ كلاهما دائم الحركة. وبدونهما لا يستطيع الجسد ولا تستطيع الروح أن يستمر في الحياة، وفي مرحلة الابتلاء يتبلى الله الإنسان بالشر والخير فتنة.

رقم (١٢) فإن كان في خير ونجاح وتقاؤل .

رقم (١٢أ) وكان عليه أن يعمل بنفس مطمئنة ترعاه الملائكة ويؤدي ما عليه من شكر وحمد وغيرها (تابع مسار السهم الأخضر إلى أعلى).

رقم (١٢ب) ولكن إن أخذته النفس الأمارة بالسوء وإغواء الشيطان فيعمل بأمور قوامها الطمع والكبر وغيرها فليجأ إلى الفجور بالنعمة تابع مسار السهم - الخط الأحمر .

رقم (١٣) أما إذا أصيب بالشر وفشل فقد تأخذه النفس الأمارة بالسوء. وليجأ إلى الغضب والإجباط والأخلاق المذمومة كالظلم والعدوان والغش وغيرها (تابع مسار السهم - الخط الأحمر).

رقم (١٣أ) ولكن النفس اللوامة تقدم له صمامات الوقاية والتوازن والتصحيح بمجرد أن ينزعه نزغ من الشيطان فليجأ إلى الذكر والاستعاذة ويجاهد نفسه ويحاسبها ويتوب ويستغفر الله ويحسب وعليه أن يستخير ربه ويتوكل عليه ويرجع إلى مسار الخير والفضيلة كما هو موضح في مسار سهم الخط الأخضر.

من أجل تذكر هذا الشكل البياني وتسهيل شرحه تم اقتباس هذا الشكل البياني ورسمه بطريقة مشابهة لرسم هيكل نظام «الدورة التنفسية (الجهاز التنفسي) المكون من منطقة الرأس والرئتين والقلب والحجاب الحاجز».

يجسد الشكل الذي وضعناه أهمية نظام الدورة الأخلاقية التي تحيا بها نفس الإنسان، وكأنها بأهمية الجهاز التنفسي الذي يحيا به جسده.

وفيما يلي شرح موجز لمكونات هذا الشكل وفق التقسيم السابق:

الابتلاء والصراط المستقيم^(١) :

إن الابتلاء والفتنة يمحضان العبد ويردانه إلى هذا الصراط المستقيم إذا استطاع الشيطان في لحظة من لحظات الضعف الإنساني أن يخرج الإنسان عن هذا الصراط المستقيم ويسلك به سبلاً أخرى، وقد كان من رحمة الله سبحانه ألا يدع الإنسان فريسة لهذا الشيطان وإنما زوده بوسائل الحماية والوقاية منه، ثم هياً له وسائل الإفلات إن وقع في الفخ وخرج عن الصراط المستقيم، فمن ذلك:

١- الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة: مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

٢- واعظ الله - عز وجل - في قلوب عباده المؤمنين: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ضرب مثلاً: صراطاً مستقيماً. وعلى كنفتي الصراط سوران، لهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوق الصراط، فالصراط المستقيم: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله. فلا يقع أحد في حدٍّ من حدود الله حتى يكشف الستر، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»^(٣). فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة أو نور الفطرة.

٣- مدد الملائكة: ثم يؤيد الله عباده المخلصين بجند من الملائكة يشبتونهم ويأمرونهم بالخير ويحضونهم عليه يعدون العبد بكرامة الله تعالى ويصبرونه على البلاء، وييسرونه بشواب الله وعظيم فضله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(٤).

٤- الدعاء والاعتصام بالله: تشتد حاجة العبد أن يسأل ربه أن يهديه إلى هذا الصراط المستقيم، وكان سؤال هذه الهداية أوجب دعاء على كل عبد، وقد أوجبه الله عليه كل يوم وليلة بقوله تعالى في الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٥). ويردد المسلم ذلك بعدد ركعات صلاة كل يوم حتى يأتيه اليقين لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة^(٦). قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧).

(١) انظر الحياة الإيمانية في ضوء علاقة الابتلاء والنفس الإنسانية في هذه الموسوعة.

(٢) المائدة/ ١٥ - ١٦.

(٣) انظر هذا في صفة الاستقامة، حديث رقم (٦) وقد خرَّجناه هناك.

(٤) فصلت/ ٣٠ - ٣١.

(٥) الفاتحة/ ٦ - ٧. (٦) مدارج السالكين (١/ ٦٣) بتصرف. (٧) آل عمران/ ١٠١.

٥ - الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم: إن العبد إذا لجأ إلى الله تعالى واستعاذ به من شر هذا الشيطان

فإنه سرعان ما يخنس (ويهرب)^(١)، ويتركه وشأنه، ومن ثم تتاح له فرصة الرجوع إلى الصراط المستقيم.

النفس الإنسانية ودورها في المجال الأخلاقي :

للنفس الإنسانية دور بارز فيما يتعلّق بالأخلاق لأنها إما أن تساعد صاحبها على أن يكون من الأخيار وهي النفس المطمئنة، وإما أن تلومه على السيئات فتدفعه إلى التوبة والاستغفار، كما تلومه على عدم الإكثار من الحسنات وهذه هي النفس اللوامة، وإما أن تأمره بالشر وارتكاب المعاصي وتلك هي النفس الأمارة بالسوء، ولهذه المواقف الثلاث تأثير بالغ على تحلي الإنسان بالأخلاق الفاضلة أو الوقوع في براثن الرذيلة والاتصاف بسوء الخلق، والتناسب بين هذه الحالات الثلاث تناسب عكسي، فكلما قويت النفس المطمئنة التي ألهمها الله التقوى ضعفت النفس الأمارة بالسوء التي ألهمت الفجور، وبينهما النفس اللوامة^(٢)، وهي تلك التي تلوم على ما فات، وتندم عليه، فتلوم على الشر لم فعلته؟ وتلوم على الخير لم لا تستكثر منه؟ ومن ثم تكون اللوامة: التي تلوم صاحبها باستمرار وهي بذلك صفة مدح، فإذا كانت كل من النفس المطمئنة والنفس الأمارة تقومان بعملية التوجيه، فإن النفس اللوامة تقوم بعملية المراجعة والتقويم انطلاقاً من الفطرة التي تستحسن الخير وتحث عليه، وهنا ندرك لماذا كانت القسمة ثنائية في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فجعل للنفس قسمين فقط هما: التقية بأمر ربها، والفاجرة بإذنه، أما إذا نظرنا إلى طبيعة الإنسان وما منحه الله من عقل يميّز به بين الطيب والخبيث، وبين الحسن والرديء في ضوء الشرع، فقد زود الإنسان بقوة ثالثة تتولى عملية التوازن وتقوم بدور التصحيح، ألا وهي النفس اللوامة. [انظر الكشاف التوضيحي (١٠ - ١٣أ)، وانظر كذلك خريطة الابتلاء والنفس الإنسانية].

أما النفس المطمئنة فإنها تأمر بالخير وتحض عليه، ويكون من نتيجة الالتزام بذلك تخلّق الإنسان بالأخلاق الطيبة في جميع علاقاته، وفي كل ما يصدر عن قلبه أو جوارحه أو لسانه، ففيما يتعلّق بعلاقته مع الله - عز وجل - نجد قلبه يعمر بالإيمان، والرضا، والتوحيد، والتقوى، والرجاء، والخوف، ونجد هذا القلب فيما يتعلّق بالإنسان نفسه متصفاً بالأمانة، والتأني، والتفاؤل، والحياء، والسكينة، والطمأنينة، أما فيما يتعلّق بالغير فنجد ممتلئاً بالسماحة والرحمة والرفق والمحبة... ونحو ذلك. وإذا انتقلنا إلى مجال الأعمال الظاهرة أو أعمال الجوارح لوجدنا أعمال الإسلام من صلاة وصيام وحج، ووجدنا في النفس الاستقامة والطهارة وأكل الطيبات، وفيما يتعلّق بالغير نجد الإنسان متخلّقاً بالإحسان والإخاء والأدب والإنفاق والبر وحسن العشرة وحسن المعاملة وصلة الرحم وكفالة اليتيم والمروءة والمواساة ونحو ذلك.

(١) انظر صفة الاستعاذة.

(٢) اختلف المفسرون اختلافاً كبيراً في معنى النفس اللوامة، فقليل هي التي تلوم على الخير والشر، ورؤي عن مجاهد أنها التي تندم على ما فات (تفسير ابن كثير ٤/ ٤٧٧)، وقال القرطبي: هي نفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، ويقول ما أردت كذا فلا تراه إلا يعاتب نفسه، وقد نقل القرطبي ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم، انظر تفسير القرطبي ١٩/ ٩٣.

تمهيد في معنى الحياة والنفس الإنسانية (ع أ)

ويخضع اللسان أيضًا لتوجيه النفس المطمئنة فلا يصدر عنه فيما يتعلق بالله - عز وجل - إلا كل طيب كالاتِّهال والدعاء والاستخارة والاستغاثة والذكر وتلاوة القرآن، وفيما يتعلق بالإنسان نفسه نجد صفات مثل كتمان السر وحفظ الأيمان ونحوهما، أما فيما يتعلق بالغير فيتصف اللسان بالصدق والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبشارة والدعوة إلى الله - عز وجل - ونحو ذلك. [انظر الكشاف التوضيحي (٤أ، ٤ج) و (٤ب، ٤د) وما فيه من صفات أعمال العقل والقلب والجوارح واللسان وعلاقتها مع الله ومع النفس ومع الغير].

النفس الأمارة بالسوء :

للنفس الأمارة بالسوء أيضًا تأثيرها العظيم في مجال الأخلاق، إذ تحض على الشر، وعلى مخالفة أمر الله تعالى، وتتعاون مع الشيطان في النهي عن فعل الخير ولذلك وصفها المولى - عز وجل - بالفجور لخروجها عن أمر الله وما جاء به الرسول ﷺ فإذا سلك الإنسان مسلكًا متبعًا هواه ونفسه الأمارة بالسوء جاء هذا السلوك قبيحًا ويتسم بالنية السيئة وإرادة الشر، هذا منبع كل ما يصدر عن الإنسان قبيحًا وسوءًا أكان ذلك من عمل القلب أو اللسان أو الجوارح. ففي مجال القلب نجد الشرك والكفر والإلحاد والجحود والعصيان .. إلخ. أما مع النفس فإننا نجد اتباع الهوى والغرور والكبر والعجب ونحوها من أمراض القلب، وكذلك الأمراض الاجتماعية من نحو الجفاء والغلظة والبغض والحسد والمكر والنقمة ونحوها. [انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ١].

فإذا انتقلنا إلى الجوارح التي تأتمر بأمر هذه النفس الشريرة وجدنا ترك الصلاة والتهاون في أداء الجماعات والفسوق ونحوها، هذا مع الله - عز وجل -، أما مع الذات فإننا نجد التبذير والتبرج والتفريط والخنوثة والكسل وما أشبه ذلك، أما مع الغير فنجد الإجرام والإرهاب والأذى والإساءة والشح والطغيان ونحو ذلك مما تضمنته القائمة. انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ٢].

وفيما يتعلق بأعمال اللسان الذي استجاب لهذه النفس الأمارة بالسوء فإننا نجد اللغو والمجاهرة بذكر المعصية ونحو ذلك، وفيما يتعلق بالنفس فإننا نجد التكاثر والفخر ونحوهما، أما البلاء الأعظم فهو ينجم عن اللسان في حق الآخرين من نحو الإفك والبهتان وشهادة الزور والسخرية والاستهزاء والشتمة وإفشاء السر ونحو ذلك مما تضمنته القائمة [انظر الكشاف التوضيحي (٤ب) إطار ٣].

إن اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء يؤدي حتمًا إلى الفشل والتشاؤم، وأما اتباع النفس المطمئنة فإنه يؤدي إلى النجاح والتفاؤل، [انظر الكشاف التوضيحي (١٢)]، ولكن ماذا بعد؟ أليست هناك إمكانية للموازنة والتصحيح وإعادة الإنسان إلى طبيعته الخيرة؟ الجواب: نعم. وهنا يأتي دور النفس اللوامة التي تشكل صمامًا للوقاية وميزانًا للتقويم، وقد تنجح هذه النفس عن طريق المجاهدة والمحاسبة والمراقبة في تصحيح وضع الفجور، فيعود الإنسان إلى الخير بالذكر والاستعاذة والتوبة والاحتساب ونحو ذلك مما تضمنته القائمة ١٣ أ، فإذا ذكر الله - عز وجل - واستعان الإنسان بالله تعالى واستعاذ من الوسوسة خنس الشيطان وهرب، وهنا يجد المرء نفسه عائدًا إلى الله وفارًا إليه من هوى النفس والشيطان فيفعل المأمورات ويحجب المنهيات ويعود عضوًا صالحًا في المجتمع.

فإذا كانت النفس اللوامة أو ما يمكن أن نسميه بمراقبة الضمير ضعيفة ولا تستطيع مقاومة إغواء الشيطان فإن الإنسان يستمر في غيّه ويرتد أسوأ مما كان، فنشاهد منه الغضب والإحباط والعجلة والنسيان ونحو ذلك.

هذا وللنفس اللوامة أيضاً تأثيرها القوي على النفس المطمئنة لأنها تشكل خطأً ثانياً للدفاع عن اليقين الديني وتأمّل دائماً في المزيد من الخير، وهنا تكون النفس المطمئنة مدعومة بقوتين عظيمتين إحداهما: حفظ الملائكة والأخرى النفس اللوامة، أما القوة الأولى فتحفظ الإنسان من الغرور والمن بالطاعة ونحو ذلك من الموبقات، أما الثانية فإنها تدفع إلى مزيد من الكمال وتحمي من التقصير ويكون من نتيجة ذلك اتجاه الطائع إلى الحمد والشكر والإحسان والإنفاق والبر ونحوها [انظر الكشف التوضيحي (١١٢)].

ونظراً لأهمية العلاقة بين النفس الإنسانية وقضية الابتلاء، فقد قمنا بمحاولة متواضعة توضح مدى التناسب العكسي بين قوى النفس الثلاث، النفس المطمئنة والنفس اللوامة من ناحية والنفس الأمارّة — مدعومة بغواية الشيطان ورفقاء السوء — من ناحية أخرى [انظر خريطة الابتلاء والنفس الإنسانية].

الابتلاء والقيم الخلقية :

إن الابتلاء هو قاعدة حركة الحياة في معطيات الإسلام عن الحياة وعن الإنسان، ومن أجلها سخر كل ما في الكون له، ووجدت الرسالات وأرسلت الرسل، ووجدت إرادة الإنسان الحرة الفاعلة، الملتزمة بإعمار الأرض وبناء الحضارة على أسس خلقية لإسعاد الناس جميعاً.

إن عملية التربية الخلقية لها أصولها (وقد بيّنا ذلك في الفصل الثاني من «الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام» في هذه الموسوعة، سواء ارتدت في التفسير إلى بناء الفرد أو تأثير المجتمع، كما أن تنمية القيم الخلقية تعتمد على فطرة الإنسان وما زود به من استعدادات، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الإسلام والفكر الإسلامي يلفت نظرنا إلى أن النفس الإنسانية هي مناط التربية الخلقية، ويلفت نظرنا أيضاً إلى أن هذه النفس تتسم بسِمات متعددة مثل: الهوى، والشهوة، والحاجات، والدوافع، والشعور بالمشقة، والصبر، والضجر، والخوف والشجاعة، والشح والكرم، والحسد، والكبر والتواضع، والضيق، والتأثر البالغ بالأقوال والأفعال، والشعور بالحسرة والندم، والشك، والإدراك والوعي واليقين والفجور والتقوى، والعلم والجهل، والقدرة على إخفاء المشاعر، والاستعداد لاتخاذ القرار، والاستعداد لإدراك الموقف في كلية وشمولية واستيعاب وإعادة النظر في كل منها، والاستعداد للاستنتاج والتحليل والتفسير، وما إلى ذلك، مما يؤكد ضرورة التربية الخلقية لأن هذه النفس مرنة وتكتسب عمل الخير ليصبح سجية لها وكذلك عمل الشر ليصبح سجية وطبعاً لها.

ونظراً لأهمية عملية التدريب بالاختبار والتجربة بابتلاء النفس وتمحيص علاقاتها فإننا سنخص ذلك بدراسة مستقلة فيما يلي من صفحات.

تکلیف و فتنه

